الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جامعة 08 ماي 1945 * قالمة *

كلية العلوم الانسانية والعلوم الإجتماعية
قسم التاريخ
تخصص: تاريخ عام

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر نظام جديد *ل م د* في التاريخ العام:

الحركة العلمية في الدولة الحفصية

625-981هـ/1227-1574م

من إعداد :
رحماني عائشة
رحماني مريم

الاستاذ المشرف:
د. خالدي مسعود

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
طوهارة فؤاد	استاذ مساعد –أ-	رئيسا	8ماي1945
خالدي مسعود	-استاذ محاضر –أ-	مشرفا	8ماي1945
قريان عبد الجليل	-استاذ محاضر –ب-	مناقشا	8ماي1945

السنة الجامعية: 2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين على نعمته التي أنعم بها علينا من عقل وعلم فلولا فضل الله علينا وقدرته لما توصلنا لإنجاز هذا العمل.

فبداية وقبل كل شيء نحمد الله عز وجل على هدايتي وتوفيقنا في انجاز هذا البحث.

ثم نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف:

الدكتور " خالدي مسعود"

الذي لم يبخل علينا بنصائحه القيمة وتوجيهاته السديدة خلال مسيرتنا في انجاز هذا البحث

كما نتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان الى جميع أساتذة قسم التاريخ وعمال المكتبة الجامعية.

إهداء

اللهم لك الحمد ولك الشكر الحمد لله على توفيقنا في انجازنا هذا العمل، وما التوفيق الا من عنده سبحانه وتعالى.

الى العيون التي سهرت على تربيتنا، وحصرت على تعليمنا، نهدي هذا البحث الى منبع حنانا والهامنا الى والدتنا، أمنا العزيزة والغالية.

والى والدنا الذي قدما لنا الدعم المادي والمعنوي.

والى أخونا الكريم حفظه الله والى أختنا الصغرى وفقها الله وأنار دربها ودرب كل البشر.

والى زملائي وزميلاتي دفعة 2016/ 2017م

والى كل من ساعدنا في انجاز هذا العمل

الى كل أساتذة قسم التاريخ والى كل محب للعلم

مريم وعائشة

فهرس

المحتويات

مقدمة

عرفت بلاد المغرب العربي بعد سقوط دولة الموحدين مرحلة ضعف و انقسمت البلاد إلى ثلاث دويلات مستقلة، فكانت دولة بني مرين في المغرب الأقصى، و دولة بني زيان في المغرب الأوسط، و دولة بني حفص في المغرب الأدنى و قد خصصنا هذه الأخيرة بالدراسة.

قمنا باختيار هذا الموضوع الذي يتناول "الحركة العلمية" في إطار مكاني معين يشمل الدولة الحفصية في المغرب الأدنى، و هي تمثل جمهورية تونس الحالية و بعض الأجزاء الشرقية الجزائرية، و إطار زماني محدد يمتد من (625هـ/981هـ/1227م_1574م) فقد امتازت هذه الفترة بالنشاط العلمي و الإنتاج الفكري، و بروز عدد هائل من العلماء و المشايخ حملوا على عاتقهم رسالة العلم و الاجتهاد.

أما فيما يخص أسباب اختيارنا لهذا الموضوع فهي ترجع إلى عوامل ذاتية و أخرى موضوعية، فالذاتية تتمثل في رغبتنا في إبراز الجانب الفكري و إزالة الغبار عن العلم و العلماء الذين عاشوا في هذه الدولة، و خاصة أن مثل هذا الجانب كثيرا ما يغفل عنه من قبل الدارسين، أما فيما يتعلق بأسباب الموضوعية فهي متعلقة بأهمية البحث في دراسة هذا الجانب.

و بناءا على هذا قمنا بطرح الاشكالية التالية: ماهي الظروف السياسية التي ظهرت فيها الدولة الحفصية؟ و أتبعنا الإشكالية بعدد من التساؤلات:

1/ هل كان لهذه الظروف أثر على الحياة العلمية؟

2/ بماذا تميزت الحركة العلمية؟

3/ هل كان للدولة الحفصية مؤسسات علمية راقية؟

4/ ماهي العلوم التي كانت منتشرة فيها؟ و من أشهر علمائها؟

نجيب عن هذه التساؤلات من خلال البحث، الذي قسمنا إلى مقدمة و تمهيد و ثلاثة فصول و خاتمة.

- **تمهيد:** جاء فيه لمحة عن سقوط دولة الموحدين و الظروف التي ساعدت على ظهور الدويلات المستقلة.
- **الفصل الأول:** تضمن لمحة تاريخية للتعريف بالدولة الحفصية من حيث التأسيس و النسب الشريف لبني حفص و كذلك الحدود الجغرافية لدولة و بالإضافة إلى مختلف الاوضاع التي مرت بها الدولة من وضع اجتماعي و اقتصادي و سياسي إلى غاية سقوطها.
- **الفصل الثاني:** جاء بعنوان المؤسسات التعليمية في العهد الحفصي فقد خصصناه للحديث عن المساجد و الزوايا و الربط و الدور الذي تقوم به في تلقين الصغار من علوم القرآن و الحديث، كما تعرضنا فى هذا الفصل للمدارس و المكتبات التي أنشئت في العهد الحفصي من قبل الأمراء و الأميرات، و بعض القادة من خاصة الحكم، و ما احتوت عليه من كتب و مخطوطات نادرة إضافة إلى ما توفره من منح لطلابها، كما تحدثنا عن المراكز الثقافية التي اعتبرت منارات للعلم و العلماء تشد إليها الرجال من كل مكان.

الفصل الثالث: خصصناه للحديث عن أصناف العلوم و أشهر علمائها فكان الصنف الأول يتعلق بالعلوم النقلية من تفسير و حديث و فقه و أدب و غيرها مع إبراز أشهر العلماء الذين برزوا في كل علم، اما الصنف الثاني فكان يختص بالعلوم العقلية، من رياضيات و طب و تاريخ و جغرافيا و فلسفة مع ذكر أشهر العلماء، و اهتمام الأمراء الحفصيين بهذه العلوم و إعطائهم لأصحابها عناية خاصة.

- **خاتمة:** لقد تضمنت الخاتمة مجموعة من الاستنتاجات حول موضوع البحث، كما أرفقناه بمجموعة من الملاحق احتوت العديد من التوضيحات.

و قد اتبعنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي وصفي استقرائي وصفي من خلال وصف المراكز التعليمية و دورها الفعال في التعليم و استقرائي من خلال استقراء النصوص التاريخية و استخراج منها الأنشطة العلمية و أبرز علمائها.

اعتمدنا لإنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر و المراجع المختصة بتاريخ الدولة الحفصية و من أبرزها نذكر:

- لما رمول كربخال في كتابه: إفريقيا ج3، فقد أفادنا كثيرا في معرفة الحدود الجغرافية للدولة كما تعرض في كتابه لأصل نسب الحفصيين و أنه يرجع إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه و استفدنا منه كذلك من ناحية الجانب الاقتصادي للدولة و طبيعة الأنشطة و الحرف اليدوية.
- و يعتبر المؤرخ ابن أبي دينار من خلال كتابه: المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، مصدرا مهما، لأنه أمدنا بالتسميات القديمة التي عرفتها مدينة تونس عاصمة الحفصيين من العصور القديمة إلى الوقت الحالي، كما أن الكتاب غني بالزوايا و الربط التي كانت موجودة في تلك الفترة و وصف لنا تمجيد أهل تونس لها و الاحتفالات الدينية التي تقام فيها.
- ابن الشماع في كتابه الأدلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، فقد جاء في كتابه نوع من التفصيل عن الجوامع و المدارس و أبرز العلماء و الشيوخ الذين درسوا فيهم، فيذكر لنا ابن الشماع أن جامع الهواء حاليا قد بنته الأميرة عطف زوجة أبي زكريا يحي في عهد ابنها المستنصر، و كان يسمى قديما جامع التوفيق، و من امثال الشيوخ الذين درسوا في المدارس الحفصية نذكر ابن البراء، ابن عرفة، و البزلي.
- كذلك يعتبر ابن قنفذ القسنطيني من خلال الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية معاصرا لتاريخ الدولة، و قد استفدنا منه في جانب العلوم خاصة علم الفقه و التاريخ فقد أمدنا بتراجم لعلماء برزوا في هذا الجانب.

- و يعد المؤرخ عبد الرحمان ابن خلدون من المعاصرين للدولة فقد أفادنا كثيرا من خلال كتاباته خاصة منها المقدمة و أجزاءه 6 و 7 في ديوان المبتدأ و الخبر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، في معرفة الأوضاع السياسية.

بالإضافة إلى مصادر أخرى مهمة نذكر منها:

- **الرقيق القيرواني:** تاريخ إفريقية و المغرب،
- **ابن عذاري المراكشي:** البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب،
- **الأسيدي الدباغ:** معالم الاكيان في معرفة أهل القيروان بجزأيه ج1 و ج3،
- **ابن الأثير:** الكامل في التاريخ ج3.

كما اعتمدنا على مجموعة من المراجع العامة نذكر منها:

- **روبار برنشفيك:** تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى 15م، بأجزائه: 1 و 2 أفادنا هذا الكتاب كثيرا في التعرف على الوضع الاجتماعي و الثقافي و على كيفية تعليم الناشئة في المدارس الحفصية.
- محمد الهادي الشريف: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، استفدنا منه في التعرف على المكونات السكانية للمجتمع الحفصي و كذلك في الجانب الثقافي.
- **حنيفي هلايلي:** أبحاث و دراسات في التاريخ الأندلسي المورسيكي من خلال هذا الكتاب يتضح لنا أن علماء الأندلس لما هاجروا قصدوا بجاية الحفصية، كانوا موسوعي الثقافة، و متنوعي الاختصاصات و أصبحوا مثالا للقدوة.
- كما يعتبر كتاب نصر الدين سعيدوني: دراسات أندلسية مظاهر التأثير الأيبيري و الوجود الأندلسي من الكتب المهمة التي ساعدتنا في إنجاز هذا البحث فقد استفدنا منه في التعرف على طرق الجديدة للدراسة و كيف تطورت أساليب تلقي المعلومات للدارسين و التعرف كذلك على العلماء المجددين أمثال محمد بن ابراهيم الأبلي (ت: 757هـ/1356م)

- إضافة إلى اعتمادنا بكثرة على كتاب شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي ج9. أفادنا هذا الكتاب في التعرف على المدارس الحفصية و العلوم و العلماء.
- كما اعتمدنا على مجموعة من المقالات و البحوث الواردة في بعض المجلات العلمية المحكمة نذكر منها:

محمد ناجي بن مامي: مدارس تونس من العهد الحفصي إلى العهد الحسيني القرن 7ه/13م، مجلة المؤرخ العربي.

عبد العزيز فيلالي: أبرز علماء قسنطينة خلال العهد الحفصي القرن 7ه/10م، مجلة قسنطينة.

عبد الله طويلب: العلاقات السياسية بين الدولتين الزيانية و الحفصية، دورية كان.

❖ و أثناء إنجازنا للبحث قد واجهتنا بعض الصعوبات منها شح المادة العلمية الخاصة بالموضوع، و موسوعة العلماء في تلك الفترة مما يعقد مهمة الفصل في التخصص العلمي لكل عالم، بالإضافة إلى الظروف الشخصية التي لا تسمح لنا بالتنقل لمكان بعيد.

قائمة الرموز و الإرشادات:

(د ط): دون طبعة

(د د ن): دون دار النشر

(د مك ن): دون مكان النشر

(د س ن): دون سنة النشر

(تر): ترجمة

(تق): تقديم

تمهيد

تمهيد:

ليس هناك جدال في أن دولة الموحدين تعتبر من اعظم الدول في التاريخ الإسلامي فقد اثمرت هده الدولة عن الثورة التي قام بها المهدي بن تومرت وعمرت قرنا ونصف وقد بلغت من سعة الرقعة والازدهار والسطوة مبلغا عظيما لا مثيل له. فقد امتدت الدولة الموحدية من المحيط الأطلسي غربا الى طرابلس شرقا ومن الاندلس شمالا الى قلب الصحراء جنوبا و تولى حكمها أربعة عشرة اميرا باعتبار المهدي وشهدت العلوم والفنون والعمارة في عهدها ازدهارا مشهودا او تكفلت بالجهاد في الاندلس وردت غزوات النصارى المتتالية وأوقعت بهم في الواقعة الشهيرة المعروفة واقعة الارك.[1]

والتاريخ يشهد بان دولة الموحدين كانت اخر الدول الإسلامية في المغرب التي وحدت هده الارجاء الواسعة الممتدة من حدود مصر شرقا حتى ساحل المحيط الأطلسي غربا تحت سيطرة دولة واحدة. وتقلص نفود الدولة حتى اصبح قاصرا على الأقسام الثلاثة للمغرب في الغرب الى الشرق مراكش والجزائر وتونس[2].

حيث اجتمعت مجموعة من الظروف والأسباب الداخلية والخارجية أدت الى ضعف الدولة وتضعضعها ويمكن اجمالها فيما يلي:

مناصرتهم للأندلسيين وضمهم الى الاندلس الى دولة المغرب الكبير فوقعوا بين شقي الرحى حيث القشتاليون وحلفاؤهم القوط في الاندلس وابن غانية حليف القوط في افريقيا[3].

---

[1]عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، رسالة دكتوراه، جامعة الازهر، دار الغرب الإسلامي،1403هـ، 1983،ص375.

الارك: معركة وقعت في 591هـ،1194م في عهد ابي يوسف يعقوب المنصور وبقيادته للمزيد ينظر نجاة سليم محمود محاسيس ص34

[2]عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي،ج5،مكتبة مديولي،1414هـ،1994م،ص18.

[3]نجيب زبيب، الموسوعة العامة بتاريخ المغرب والاندلس،ج2،دار الأمير،1415هـ،1995م،ص416.

تمهيد:

وكان الاندلسيون مسؤولين عما حاق بهم وببلادهم مند القرن الحادي عشر ميلادي عندما تنازل خلفاء الموحدين عن ولايات الاندلس لولاة من الاندلسيين انفسهم فادا ماشكا هؤلاء وتدمروا من استبداد الولاة اللاهين في بلد مهدد بالقوط المتربصين سارع الموحدين للوقوف الى جانب الشعب وحمايته من الولاة. فيعمد هؤلاء الى التحالف مع ملوك القوط وامرائهم ضد شعوبهم والموحدين في ان واحد[1].

إضافة الى دلك عرف كيان الدولة كثرة الاضطرابات نتيجة صغر سن السلاطين وانصرافهم عن تطبيق الشريعة الإسلامية واستئثار دوي قرباهم بالنفود من اجل مصالحهم الخاصة مما ساعد على ازدياد حدة التورات الداخلية التي لاحقت الخلفاء الموحدين مما اضطرهم الى حكم استبدادي قائم على القتل[1].

وسارت الأمور على هدا النحو من الضعف الدي أدى الى نهاية الدولة وكان ضعف السلطة في المحافظة على الدولة في الاندلس والمغرب قد أدى الى ظهور بعض الزعامات المحلية.

ومرت الدولة الموحدية بفترة الاحتضار بوفاة الناصر سنة 610ه الى دخول المرنيين مراكش سنة 668ه أي حوالي نصف قرن توارد على الخلافة فيه المستنصر توفي سنة 620ه وعبد الواحد المخلوع سنة 621ه وعبد الله العادل سنة 624ه والمعتضد بالله سنة 646ه والواثق سنة 668ه وهو اخر خلفاء الموحدين[2].

في هده الفترة كانت الدولة تحتضر ولم يكن في استطاعة أي منهم ان يقوم باي عمل لافي الاندلس ولا في المشرق.

---

[1] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق ص20.

[2] عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي،ج2،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1426ه،2005م،ص226.

تمهيد:

كما يجمع اغلب المؤرخين العرب والافرنج على السواء ان معركة العقاب[1] كانت السبب الأكبر في القضاء على الدولة الموحدية. ففي سنة 609هـ 1212م كان حاكم قشتالة الفونسو الثامن قد طلب العون من البابا السونت الثالث ولم يستطع محمد الناصر لدين الله الموحدي صدهم فهزم في هده المعركة التي تعرف في المصادر الأجنبية باسم LA NAVAS DE TOLOSA[2] ونتيجة للحروب الاهلية والضربات الخارجية وانحراف نظام الحكم عن الطريق انهارت الدولة وظهرت على انقاضها اربع دول مستقلة هي الدولة الحفصية في تونس عام 627هـ 1230م وهي فرع لدولة الموحدين وامتدادها ثم دولة بني زيان عبد الواد في تلمسان ونواحيها بالمغرب الأوسط عام 623هـ 1235م ودولة بني مرين اوبني عبد الحق في فاس عام 1269م وهي قبيلة من زناتة وهي الدولة التي استقلت بالمغرب بعد ان قضت على خلافة الموحدين نهائيا. ومملكة غرناطة وهي اخر ما بقي للمسلمين من ممتلكات في اسبانيا وقد استقل بها الأحمر أبو بنونضر عام 635هـ 1238م.[3]

وبذلك شهد النصف الثاني من القرن الثالث عشر انفراط عقد المغرب العربي وغياب شمس امبراطورية البربر ادا ضمحلت دولة الموحدين.[4]

---

[1] العقاب: بالقرب من حصن يدعى حضن سالم هاجم فيها الادفنش المسلمين وهزم الموحدين وقتل منهم خلق كثير ينظر المعجب في تلخيص المغرب للمراكشي ص54.

[2] محمد حمام، الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط،1995، ص141.

[3] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق ص19-20.

[4] المرجع نفسه،ص21.

الفصل الأول:

لمحة تاريخية عن

الدولة الحفصية.

- المبحث الأول : تأسيس الدولة الحفصية
- المبحث الثاني: الوضع الاجتماعي
- المبحث الثالث: الوضع الاقتصادي
- المبحث الثالث: الوضع السياسي

المبحث الأول: تأسيس الدولة الحفصية

لقد كانت دولة الحفصيين اسبق الدول الثلاث ظهورا واوسعها انتشارا حيث اعلن عن تكوينها رسميا عام 1227م واستمرت دولة مزدهرة حتى عام 1574م [1]وظلت كدلك الى منتصف القرن السادس عشر حين استولى عليها الاتراك العثمانيين وأصبحت مند عام 1574م تابعة لهم[2].

كما ساعدت الظروف التي مرت بها الدولة الموحدية في ظهور بني حفص كإمارة مستقلة فحين انقسمت الدولة الموحدية في 1204م الى دولتين احداهما الدولة المؤمنية نسبة الى عبد المؤمن بن علي في مراكش[3].فقد مثل دلك الانشقاق بين الافراد البيت الحاكم حيث وجد في هده الفترة اميران المأمون ويحي بن الناصر متنازعان بالإضافة الى سياسة المأمون الجديدة التي شككت في عصمة المهدي الموحدي مما اثار حفيظة الكثير من قبائل الموحدين[4] هدا الامر اضعف كامل الدولة وجعل الخطر يحدق بها من كل الجوانب.

وتعتبر الدولة الحفصية شعبة من دولة الموحدين ودلك ان الخليفة الموحدي محمد الناصر فوضا امر افريقية الى وزيره وصهره الشيخ ابي محمد عبد الواحدين ابي حفص الهنتاتي ومنحه جميع السلطات التي تخول له حكما مستقلا بهده الولاية.[5]

ولما ازداد عبث بني غانية في منطقة افريقية منح الناصر الموحدي هده المنطقة الى ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص ودلك في عام 603هـ،1206م، ويعتبر تعيين ابن ابي

---

[1] نجيب زيبب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس،ج4،دار الأمير،1415هـ/1995م،ص21.

[2]احمد إسماعيل راشد، تاريخ اقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت.لبنان ’2004 ص90

[3]نجيب زيبب، المرجع السابق، ج4، ص 24.

[4]عبد الواحد ذنون طه، تاريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004، ص397.

[5]محمود السيد، تاريخ دول المغرب العربي ليبيا، تونس، المغرب، الجزائر، موريتانيا، مؤسسة شباب الجامعة،2004،ص123

حفص هدا اول اقتطاع لإحدى الولايات المغربية في جسم الدولة الموحدية لكي تكون امارة حدودية تقف في وجه بني غانية وغيرهم من الطامعي[1].

وبحكم مكانة ابي حفص الاجتماعية وحسن اخلاصه للمهدي وتعاليمه اعتبر من العشر الأوائل، اد كان يأتي بعد عبد المؤمن في المنزلة في غير منازع ويشترك معهم في الألقاب الرئاسية فبينما كان المهدي يسمى بالإمام وعبد المؤمن بالخليفة كان يسمى هو بالشيخ وكان عبد المؤمن يحترمه ويقدره ويأخذ برايه في كل مشكلة من مشاكل الدولة[2] فقد تمتع بمكانة سامية في دولة الموحدين لسابقتهم في الجهاد وكان لأولاده من بعده هده المكانة فقد تداولوا الرئاسة وتقلبوا في مناصب الامارة في المغرب والاندلس[3] .

لقد برهن ابي حفص على كفاءته ومقدرته السياسية والإدارية في جميع الاعمال والولايات التي تولاها لدولة الموحدين بالمغرب الأقصى والاندلس، فاستحق عن جدارة ما تبوأه من المقام السامي والاصطفاء بهذه الدولة[4].

ان الحديث عن المكانة السامية لابي حفص ومنح الخليفة الموحدي محمد الناصر، امارة افريقية يعود بنا الى نفس الموقف الذي رأيناه في الخلافة العباسية سابقا مع بني الاغلب في تونس، وكان ذلك إيذانا بقيام ولاية مستقلة في افريقية وتمتعها بالاستقلال التام في حكم افريقية بعيدا عن سيطرة الدولة المركزية في مراكش.

---

[1] عبد الواحد ذنون طه، مرجع سابق، ص .396

[2] صالح أبو دياك، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب ،الجامعة الإسكندرية، 2000، ص .259

[3] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير 2 العصر الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، 1981،ص .875

[4] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، بيروت،ج2، ط2، 138ص1965

يعد أبو زكريا يحي الحفص المؤسس الحقيقي لدولة الحفصيين بتونس فقد استقل بإمارة افريقية في عام 625هـ[1].

لما قتل الخليفة الموحدي العادل بمراكش سنة 624هـ، بويع المأمون بالأندلس بعث الى ابي محمد عبد الله بتونس ليأخذ له البيعة على من بها من الموحدين، وكان المأمون قد فتح امره بالخلاف ودعا لنفسه قبل موت أخيه العادل بأيام، فامتنع أبو محمد ورد رسله اليه فكتب بذلك لأخيه الأمير ابي زكريا وهو بمكانه من ولاية قابس، وفي هذه الاثناء خرج ابي زكريا ليعلن عن انفصاله بأمر تونس فخلع بنى عبد المؤمن ونهض الى قسنطينة سنة 626هـ وبعدها الى بجاية[2].

حين تولى أبو زكريا يحي الحفصي 627 هـ/1229م كانت دولة الموحدين قد وصلت الى درجة كبيرة من الضعف وكان بنو مرين ينازعونهم السلطة في المغرب الأقصى، فانتهز أبو زكريا الفرصة واعلن استقلاله بأعمال تونس والقيروان عن دولة الموحدين[3] .

عمل الحفصيون على مد نفوذهم، وفي البداية كان أبو زكريا الحفصي مواليا ليحي بن الناصر في الخطبة واقتصر على ذلك المهدي بن تومرت، وتلقب بالأمير وجدد البيعة لنفسه عام 634هـ[4].

وفي سنة 1236م عمل أبو زكريا الحفصي على ان تقام الخطبة باسمه، وقيل انه اتخذ لنفسه لقب الخلافة على انه وريث عبد المؤمن مؤسس دولة الموحدين واعترفت بسيادته أجزاء من الاندلس التي مزقتها الخلافات ومثلها مدن المضيق في شمالي المغرب ومكناس[5].

---

[1] عبد الواحد ذنون طه، مرجع سابق، ص397

[2] عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ او الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ،جدار الفكر، 1421هـ/2000م،بيروت،لبنان،ج6، دط، ص 380.

[3] شوقي الجمل، المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي الى الوقت الحاضر، المكتب المصري، القاهرة، 2007 ،د ط، ص27

[4] عبد الواحد ذنون طه، مرجع سابق، ص .397

[5] نجيب زبيب، مرجع سابق،ج2، ص420.

استقل أبو زكريا بن عبد الواحد بن ابي حفص واستقام له حكم البلاد حيث يعمل على نشر العدل والامن فيها حتى وفاته عام 647هـ/1249م[1] خلفه ابنه محمد الذي اتخذ لقب المستنصر بالله 654هـ/1256م وتلقب بلقب خليفة وارسل له امير مكة والحجاز البيعة بالخلافة فاحتفل بها احتفالا مشهودا، وتلقب منذ ذلك التاريخ بلقب امير المؤمنين[2]، وسار في حكم البلاد على نهج ابيه فعم الامن والاستقرار انحاء البلاد وتوفي عام 675هـ/1276م[3].

لقد بايع اهل الاندلس وشبيلية الأمير ابي زكريا وقد وجه اليه الاديب أبو عبد الله بن الابار قصيدته السينية التي يستصرحه فيها المسلمين ومنها الابيات التالية:

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا ان السبيل الى منجاتها درسا

وهب لنا من عزيز النصر ما التمست فلم يزل منك عز النصر ملتمسا

ما للمساجد عادت للعدى بيعا وللنداء يرى اثناءها جرسا

أجاب الأمير أبو زكريا داعيتهم، وبعث اليهم اسطوله مشحونا بالقوات والاسلحة[4].

وهذا دليل على ذيوع صيته وقوته، ولقد وفد على المغرب الأدنى في عهده عنصر جديد من اهل الاندلس الذين هاجروا فرارا بدينهم وارواحهم امام زحف الاسبان على مدنهم، ولقد استفادت منهم الدولة الحفصية ايما فائدة في الميادين الحضرية[5].

كان بحكم استقرار رؤساء هذه الدولة في حاضرة تونس ان اتخذ ملوكها هذه المدينة عاصمة لمملكتهم المغربية، وحكومتها مستقلة تماما تحت رعاية ملكها الملقب أولا بالأمير ثم

---

[1]محمود السيد، مرجع سابق، ص 158.

[2]شوقي الجمل، مرجع سابق، ص 27.

[3]محمود السيد، مرجع سابق، ص 158.

[4]السيد عبد العزيز سالم ، مرجع سابق، ص 877.

[5]جميلة مبطي المسعودي، المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621هـ/893هـ، {رسالة ماجستير}، جامعة ام القرى، سنة 1421هـ/2000م،ص4.

بالخليفة استاثارا بهذا اللقب عن ملوك دولة بني عبد المؤمن الموحدية، وكانت ولاية الملك فيهم غالبا تكون بالعهد من السلطان السابق، وتارة تكون بالغلبة والقهر[1].

كما حافظ بني حفص على عراقة اسلافهم، حيث اقتدى امراء بني حفص بسنن الدولة الموحدية فعملوا بالأصول دون الفروع متأثرين بتعاليم امامهم المهدي بن تومرت وباستعمالهم البربرية الى جانب اللغة الرسمية العربية[2].

ورغم هذا التمسك فانه يبقى يوجد اختلاف لأنه لكل دولة بصمتها في التاريخ.

المطلب الأول: النسب الشريف للحفصيين:

يرجع اغلب الكتاب والمؤرخين نسب الحفصيين الى النسب الشريف، حيث يرى المؤرخين ان الحفصيين ينتسبون الى جدهم ابي حفص عمر، وقيل انهم ينتسبون الى حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وبفضل انتساب الحفصيين الى قريش وانتسابهم الى الرسول وقرابتهم من الموحدين، استطاعوا ان يكسبوا حكمهم صيغة شرعية[3].

وهناك من يرى انه ينحدر الحفصيون من نسل الشيخ ابي حفص عمر بن يحي الهنتاتي الذي يعود نسبه الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وكان من رجالات الدولة الموحدية، وضمن الطبقة الأولى في نظام المهدي بن تومرت[4].

كما يذكر الكتاب من اهل افريقيا في كتبهم ان ملوك تونس هؤلاء من نسب هنتاتة وهم فرع من اصل مصمودة واحدة من خمس قبائل كبرة في افريقيا ويتسمون بالحفصيين[5].

بينما هناك من يرجع اصل الحفصيين بانه مرتبط بالموحدين منذ البداية، وكان في مقدمة العشرة أبو حفص عمر الهنتاتي ويذكر التاريخ ان الاسم والكنية منحهما إياه المهدى ابن

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق،ج2، ص10.

[2] صالح أبو دياك، مرجع سابق، ص .26

[3] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام الديني والثقافي، دار الجيل،بيروت،ج4، ط14، 1416هـ/1996م،ص .303

[4] عبد الواحد ذنون طه، مرجع سابق، ص395.

[5] لمارسول كربخال افريقيا، تر: محمد حجي محمد زبير، دار المعرفة، الرباط،ج3، دط ، 1988، 1989م،ص28.

تومرت باعتباره بمنزلة الرسول {محمد صلى الله عليه وسلم}، وعمر هذا بمنزلةعمر ابن الخطاب، وقد قام أبو حفص هذا بدور كبيرا في تركيز الدعوة الموحدية[1].

المطلب الثاني: الحدود الجغرافية للدولة الحفصية:

كان إقليم تونس يسمى افريقية وبه كانت في القديم مدينة قرطاجة، ويحده من جهة الغرب إقليم قسنطينة، ومن جهة الشرق إقليم طرابلس ، ومن الجنوب جبال الاطلس وإقليم الزاب وجزء من نوميديا وليبيا الشرقية اما من الشمال فيحده البحر المتوسط[2].

ومن التسميات التي اطلقت على هذه المنطقة أيضا اسم المغرب الأدنى لموقعها الجغرافي، كذلك يسمى بإفريقية كان يشمل جمهورية تونس الحالية وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر[3].

اما في الوقت الحاضر فتعتبر تونس احدى الأقطار العربية الافريقية تقع شرق اقطار المغرب العربي وتطل على البحر الأبيض المتوسط من الناحيتين الشرقية والشمالية وهذا ما يجعل من تونس موقعا استراتيجيا مميزا.

كان لموقع تونس الجغرافي وبروزها في البحر المتوسط الى جانب طرقها الساحلية التي تربط بقية اقطار المغرب بالمشرق، كان له اثره في ان ظلت تونس منذ عصور ما قبل التاريخ منطقة التقاء وتقابل، لأنها في مفترق الطرق فجميع القوى التي سيطرت او حاولت السيطرة على المغرب العربي الكبير، اتخذت من تونس قاعدة لها، لأنها تواجه الحوضين الشرقي والشمالي للبحر المتوسط، وتبلغ مساحة تونس مساحة تونس قرابة 164،150 الف كلم وبلغ عدد سكانها عام 2000تقريبا 11،450 مليون نسمة[4] .

---

[1]عبد الكريم غلاب، مرجع سابق، ج2، ص 227.

[2]لمارسول كرنجال، مصدر سابق،ج3، ص16.

[3] احمد مختار العبادى، في تاريخ المغرب والاندلس، مؤسسة الثقافة الجامعة،الإسكندرية،2001،ص12

[4]احمد إسماعيل راشد، مرجع سابق، ص 87.

المطلب الثالث: التسمية:

اختلفت التسميات التي اطلقت على المنطقة التي قامت عليها الدولة الحفصية ففي العصور القديمة كان يطلق عليها افريقية وهذه العبارة متولدة عن اللفظ اللاتيني "افريكا"، اما في العصر الوسيط فان المنطقة التي تطلق عليها المصادر العربية اسم " افريقية " ونسميها أحيانا في الوقت الحاضر بلاد البربر الشرقية تطابق بوجه عام البلاد التونسية الحالية بإضافة الى البلاد الطرابلسية في الجنوب ومنطقة قسنطينة في الجهة الغربية[1].

بينما يذكر احدهم ان لها خمسة أسماء ترشيش وتونس وقيل تانس والخضراء والدرجة العليا، فترشيش اسمها في القديم وتونس حادث لها واشتقاقه من التانس والخضراء لأنها حضرة السلاطين من بني حفص، والخضراء لكثرة زيتونها والزيتون لا يزال اخضر طول الزمان وهو الشجرة المباركة ، والدرجة العليا قيل لان بها الجامع الأعظم وقيل لارتفاعها عن غيرها من البلدان وارتفاع صيتها في كل اوان[2].

اما في العصر الحديث اصبح يعرف بالمغرب الأدنى وكانت عاصمة مدينة القيروان أيام حكم الاغالبة ثم المهدية أيام الفاطميين ثم في مدينة تونس منذ عهد الحفصيين الى اليوم[3].

---

[1] روبارير نشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،ج1، 1988، ص29.

[2] ابن ابي دينار، المؤنس في اخبار افريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، 1286، ص 11.

[3] احمد مختارالعبادي، مرجع سابق، ص 12.

المبحث الثاني: الوضع الاجتماعي:

لقد حافظ الحفصيون على كثير من نظم الموحدين الإدارية بل ان مؤسس الدولة ابن تومرت ظل يذكر في خطبة الجمعة حتى القرن الرابع عشر واستمر وجود الدعاة الذين يعرفون بمشايخ الموحدين والذين لعبوا دورا كبيرا في قيادة البلاد الاجتماعية والسياسية[1].

كما عرف عن الخلفاء الحفصيون اشتهارهم برعاية الادباء وتشجيع الفنانين وتأسيس المؤسسات العلمية والدينية من جوامع ومدارس ومكتبات نذكر منها خاصة مكتبة ابي زكريا الأول وكانت كتبها لا تقل عن 36000 كتاب والمكتبة الفارسية والمكتبة العبدلية[2]، حيث كان الكثير من الامراء أصحاب دواوين وشعراء احاطوا انفسهم بعدد من الادباء والعلماء مغاربة وأندلسيين كانوا يقدمون لهم الجوائز والهبات فكثر الشعراء المادحون من المشرق والمغرب[3].

كما وجدت أماكن عديدة يتردد عليها الرجال ويجتمعون فيها خارج محلات العبادة نذكر منها المحلات القريبة من أبواب المدن والأسواق القائمة في القرى والمدن التي عادة ما تكون مجاورة للمساجد.[4]

ففي أواخر القرن الثاني عشر اطلق على دكان في بجاية كان يجتمع فيه ثلاثة علماء مدينة العلماء، ولا يمكن ان تفصل عن نشاط المثقفين الفكري تلك الاجتماعات المختلفة التي كانت تعقد في قصر السلطان او في بيوت بعض كبار القوم[5].

---

[1] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق، ص 97.

[2] احمد الطويلي، دراسات في الحضارة العربية التونسية في العهد الحفصي والحسيني، دار المعارف، سوسة، تونس، د ط ، ص 12.

[3] الموجع نفسه، ص 13.

[4] روبارير نشيفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 الى نهاية القرن 15، تر:حمادى الساحلي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، ج2، 1988، ص373.

[5] روبارير نشيفيك، المرجع نفسه، ج2، ص373.

كذلك وجدت العروض المقدمة في الساحات الموجودة خارج المدينة وكان يتوافد عليها في القرن 15 سكان مدينة تونس كما نشاهد اليوم في مراكش فإلى جانب البهالين والمهرجين كان المنشدون يقصون الحكايات وينشدون الأناشيد الشعبية يوميا في اخر النهار[1].

والمعروف ان المجتمع الحفصي تكون من قبائل وهم على نوعين الرحل او شبه الرحل وكانوا أصحاب الامر والنهي في المناطق الداخلية واقاموا فيها نظاما اجتماعيا وطرق عيش عتيقة وانجر عن ذلك تفتت المجتمع وانقسامه داخل البلاد الى مجموعات تتمثل في القبائل المستقلة[2].

والملاحظ ان البدو كانوا يمثلون مشكلة معقدة بالنسبة للدولة خاصة اثناء الصراع العائلي على السلطة لان كل رئيس قبيلة بدوية كان ينظم الى احد الامراء المتنافسين[3].

وكان رجال تلك القبائل يملكون موارد عيشهم من قطعان واراضي واسلحتهم لذلك تجد هم لا يشعرون بحاجة ماسة للخضوع تلقائيا لسلطة عليا وكانت تلك الأمم تتعايش في سلم فيما بينها ومع عالم المدن ومع الدولة وقت الرخاء لكنها تتناحر بشدة عند الازمات[4]. واذا ما تمعنا في الحياة اليومية نجد ان النساء يتمتعن بحرية كبيرة حيث تبقى حوانيت العطارين مفتوحة الى ما بعد منتصف الليل والسبب في ذلك ان النساء يذهبن للحمام ليلا، ويتميز سكان تونس بلطفهم ورقيهم الا ان أغنيائهم قلة قليلة وذلك بسبب غلاء القمح الذي يجلب اليهم من بعيد ولا يوجد في ارضهم بسبب قلة نشاطهم لأعمال الفلاحة[5] .

اما عن الأطعمة الرئيسية عندهم فنجد ان الخبز الذي يؤكل في تونس ابيض جيد لأنه مصنوع من لباب الدقيق، وهو يعتبر الاكل العادي لكل من هو على درجة من اليسر، اما عامة الناس فأكلهم من دقيق الشعير ويتناولونه بعد غمسه في الزيت او السمن اما فقرا، الناس

---

[1] روبارير نشيفيك ،المرجع نفسه، ص 374.

[2] محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال، دار سواس،ط3، 1993،ص58.

[3] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق، ص97.

[4] محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص 59.

[5] لمارمول كربخال، مصدر سابق،ج3، ص23.

فأكلهم دقيق الشعير دون طبخ يغمسونه في الماء او الزيت ويتناولونه مع شيء من عصير البرتقال او الليمون[1] .

واذا انتقلنا الى الناحية العمرانية نجد انهم اهتموا ببناء الأسواق وإقامة القصور والمتنزهات باريانة وراس الطابية وباردو المرسى وتشييد الحصون وتطويق العاصمة بالبساتين الشذية بالرياحين[2] .

كما كانت معظم دور المدينة مبنية بالحجارة او الاجر والجير، وفي المدينة عدد من الحمامات اكثر راحة من حمامات فاس[3] .

إضافة الى ذلك فقد كانت نساء تونس متميزات بالحسن والجمال معتنيات بزينتهن يضعن براقع على وجوههن عند الخروج كما تفعل نساء فاس[4].

[1] المرجع نفسه، ص 24.

[2] احمد الطويلي، مرجع سابق، ص 23.

[3] لمارمول كربخال، مصدر سابق، ج3، ص 25.

[4] المصدر نفسه، ص .26

المبحث الثالث: الوضع الاقتصادي:

لقد عرفت الحياة الاقتصادية في الدولة الحفصية رواجا واسعا فقد تمثلت موارد الدولة في أملاك السلطان الخاصة والضرائب المفروضة على الأراضي الفلاحية ومختلف المكوس على الصنائع و نقل البضائع وما تؤديه القبائل من ضرائب فرضت عليها [1] .

والى جانب هذا النظام الجبائي التقليدي المعهود شجع الحفصيون نشاط القرصنة والتجارة البحرية التي كان يقوم بها في المرافئ الحفصية تجار من المسيحيين واستخلصوا من هذين النشاطين أرباحا هائلة[2] .

وقد اتخذوا بنو حفص عملة خاصة بهم وذلك لتسهيل مبادلاتهم ومعاملاتهم التجارية فتم صك الدرهم التونسي الذي كان يضرب في دار السكة التونسية وقد جرى التعامل به في كافة بلدان افريقية خلال القرن 7هـ/13م ويذكر الونشريسي ان الدرهم الحفصي الجديد يساوي ثلاثة من الدراهم الصغيرة المعروفة بالدراهم الجدودية ومن المعروف ان الحفصيين قاموا بسك أجزاء الدينار والدرهم كما سكت في عهد المستنصر عملة نحاسية تسمى الهندوس سنة 660هـ/1262م[3] .

وتعتبر هذه الدنانير من نقود فترة الاستقلال عن الدولة الموحدية وازدهار الثقافة فيها من ناحية وتدهور امر الأرياف من ناحية أخرى، كما يلاحظ نفس التباين لكن باقل حدة في المدن الأخرى مثل سوسة وصفاقس.

---

[1] محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص 57.

[2] المرجع نفسه، ص 58.

[3] كمال أبو مصطفى، جوانب حضارية من نوازل الونشريس، شباب الجامعة، الإسكندرية، د ط ، 1997، ص 80.

وهكذا قام التباين منذ تلك العهود بين جهات او قطاعات محظوظة نسبيا وبين المناطق الداخلية التي كتب عليها ان تظل مراعي ممتدة لقطعان القبائل وميدانا لمظاهر التخلف[1] .

لقد اولت الدولة العلاقات التجارية بالخارج عناية خاصة لذلك قامت بإبرام عدة معاهدات مع الدول نذكر منها:

مصر التي كانت تصدر ما لا تحتاج اليه الى بلاد تونس وتستورد ما تحتاج اليه واشتهر التجار المغاربة في الأسواق المصرية[2] .

اما عن علاقاتها الاقتصادية بني مرين فقد كانت تتأثر بالأوضاع السياسية بين المرينين وبني عبد الواد فهذه العلاقات كانت تنشط في الفترات التي يسود فيها السلم بين بني عبد الواد والمرنين اوفي الفترات التي يحتل فيها المرنيون المغرب الأوسط حيث يصبح الطريق مأمونا امام القوافل التجارية المتجهة الى الحج ومصر والمشرق العربي حيث لعبت هذه القوافل دور رئيسي في النشاط الاقتصادي[3].

حيث لم نعد نرى اسم عبد المؤمن عليها وان استمرت في التبعية المذهبية لها حيث نقشت عقيدة الموحدين عليها وهي: الواحد الله محمد رسول الله المهدي خليفة الله[4].

اما اذا اردنا الحديث عن الأنشطة المتداولة في هذا المجتمع فنجد ان معظم السكان من المشتغلين بالحرف اليدوية فمن بينهم عدد من الجباكين الذين يصنعون منسوجات افريقيا لان

---

[1] محمد الهادي الشريف، المرجع نفسه، ص 60.

[2] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق، ج5، ص 95.

[3] محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والاندلس في العصر المريني، دار القلم، الكويت،ط2، 1408ه/1987م، ص 242.

[4] المتحف الوطني للاثار القديمة، من اكوسيوم الى الجزائر، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، د ط، 2007، ص 44.

خيوطها ادق واحسن برما مما في البلاد الأخرى، كما تصنع في تونس العمامات الرفيعة وهي تحظى بشهرة واعتبار عند مسلمي افريقيا جمعاء[1].

ويبرز اهتمامهم بهذه الممارسات في تخصيص أسواق للمهن والحرف والصناعات حول جامع الزيتونة وفي اطراف المدينة منها ماهو باق الى اليوم مثل أسواق الصياغين والعطارين والشماعين والجلادين وأسواق الذهب والفضة والزجاج والنقش على النحاس وبعض المعادن [2].

والملاحظ ان مدينة تونس كانت اكثر انتعاشا في الحياة الاقتصادية لأنها المسيطرة على السهول الواقعة في شمال البلاد ولاهتمامها بالبحر الذي يوفر لها موارد هامة لذلك فقد اشتد التباين بين تقدم الصناعات ونشاط التجارة[3].

[1] لمارمول كربخال، مصدر سابق، ص 23.

[2] احمد الطويلي، مرجع سابق، ص 18.

[3] محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص 60.

المبحث الرابع: الوضع السياسي

عرفت الدولة الحفصية نظاما سياسيا دقيقا ظهرت فيه معظم المناصب الرئيسية المعروفة في اشكال الحكم عرف الحاكم اميرا وخليفة وقد حرصت الدولة منذ ان استقل بها حاكمها الأول أبو زكريا ان تظهر بصورة الدولة المتفرعة عن الدولة الموحدية ويظهر ذلك في احتفاظ الحفصيين بكثير من تقاليد الدولة الموحدية في الحكم[1].

ومن ابرز امرائها الذين اتخذوا لقب خليفة نجد المستنصر الذي قام بعدة إصلاحات عمرانية في تونس.

فاستلفت ذلك لويس التاسع ملك فرنسا احد ملوك الحروب الصليبية فقاد حملة الى تونس عام 1269م اعتقادا منه بانه اذا تمكن من احتلال تونس صار بوسعه ان يتخذها قاعدة للزحف منها على مصر ولكن الحملة فشلت بسبب تفشي الامراض في الجيش الفرنسي[2].

ارتبطت الدولة الحفصية منذ قيامها بعلاقات مع العديد من البلدان المجاورة نذكر من ذلك مصر التي بقيت على علاقات طيبة معها.

والملاحظ انه لم يحدث ادنى تدخل في شؤون أي دولة من الدولتين كما ان أيا منهما لم يقع بحشد قوات عسكرية ضد الطرف الاخر. فقد حرص سلاطين الدولة الحفصية على ان تظل العلاقات الحسنة تربطهم بمصر لأنها كانت طريقهم الى الأراضي المقدسة بالحجاز فوجدوا عند سلاطين مصر الاستعداد الحسن مما دفعهم الى ان يكتبوا اليهم شاكرين إياهم على حسن استقبالهم لحجاج بيت الله واكرامهم عند عودتهم[3].

اما عن علاقة الحفصيين بالزيانيين فقد تميزت بالصراع اذ سعت كل دولة الى الاستحواذ على اكبر قسم من الدولة الموحدية وتوسيعه الى حدود تأمن منها خطر جارتها فقد

---

[1] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق، ج5، ص 98.

[2] نجيب زبيب، مرجع سابق، ص 422.

[3] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق، ج5، ص 92.

سعى أبو زكريا الحفصي الى الاستلاء على الدولة الزيانية فقاد حملة عسكرية على تلمسان في أواخر شهر محرم سنة 640هـ/1242م[1].

ولم يختلف الوضع كثيرا مع المرنيين الذين تحكمت أهدافهم في طبيعة العلاقات ففي البداية اعلن المرنيون تبعيتهم الاسمية لبني حفص وتبادلوا معهم السفارات[2].

ومن بين السفارات المتبادلة نذكر تلك السفارة التي أرسلها الأمير يعقوب بن عبد الحق سنة 665هـ/1266م الى البلاط الحفصي وقام بها عامر بن ادريس[3].

ولكن هذا الاستقرار لم يدم طويلا لتطغي عليه مرحلة السيطرة المرينية على الحفصيين وكان ذلك في عهد السلطان أبو الحسن المريني عام 748هـ/1347م الذي بسط سلطانه على تلمسان والجزائر[4].

والملاحظ ان طبيعة العلاقات بين الحفصيين والمرنيين تحكمت فيها الدولة الزيانية وما يوضح ذلك قول ابن خلدون حين نزل يوسف بن يعقوب تلمسان وهو حاقد عليهم ولا يهتم للأمير ابي زكريا الاوسط، حين كانت بيعة بني زيان له والدعاء على منابرهم باسمه، فعطل منابره من ذكره واخرج قومه وايالته عن دعوته، وكان ذلك اخر المائة السابعة[5] . ولم يكن الوضع الداخلي للدولة احسن حالا من علاقاتها الخارجية فكثرت الإضرابات في الحكم وضعف الحكام وارهاقهم لكامل الشعب بالضرائب كل هذا مهد للدخول الأجنبي فقد بدأت الدولة

[1] عبد الله طويلب، العلاقات السياسية بين الدولتين الزيانية والحفصية، دورية كان، ديسمبر 2012، العدد 18، ص 32.

[2] محمد عيسى الحريري، مرجع سابق، ص 238.

[3] المرجع نفسه، ص 238.

[4] محمود السيد، مرجع سابق، ص 158.

[5] عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، 1421هـ/2000م، بيروت، لبنان، ج7، د ط ، ص 131.

الحفصية تنهار في عهد ابي عبد الله محمد 890هـ/932هـ الذي صادف عهده ظهور عروج وخير الدين امير البحر[1].

إضافة الى انتصاب الاسبان واستقرارهم في المناطق الساحلية مثل حلق الوادي 1535م الامر الذي فرض على المتأخرين من الامراء الحفصيين حمايتهم الامر الذي جعل الرعية لا تثق بهم ولا تهابهم[2].

وفي هذه الاثناء عزم خير الدين على امتلاك تونس لصالح العثمانيين فاحتل بنزرت وتونس بعد ان فر السلطان الحسن سنة 935هـ وانتهى الصراع بين الحفصيين وخير الدين بالفتح العثماني سنة 981هـ[3].

وأزيحت عن الوجود الدولة الحفصية التي عمرت حوالي ثلاثمئة وثمانية وتسيعين عاما.

[1]عبد الكريم غلاب، مرجع سابق،ج2، ص 348.

[2]محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص 56.

[3]عبد الكريم غلاب، مرجع سابق،ج2، ص 348.

الفصل الثاني:

المؤسسات التعليمية

في العهد الحفصي

- المبحث الأول : المساجد
- المبحث الثاني : الزوايا والربط
- المبحث الثالث: المدارس والمكتبات
- المبحث الثالث: المراكز الثقافية-تونس، بجاية، قسنطينة.

المبحث الأول: المساجد:

كانت المساجد في المغرب كسائر بلدان العالم الإسلامي على راس معاهد التعليم والثقافة وقد كانت كلمة مدرس مقصورة على من يقوم بالتدريس في المرحلة العالية من التعليم سواء كان ذلك في المسجد او في المدرسة، اما كلمة معلم فكانت تطلق على من يتصدى لتعليم الصبيان في المكاتب في المرحلة الأولى من التعليم، وكان الولدان يرسلون إلى المكاتب (الكتاتيب) متى بلغوا سن التميز في الرابعة او الخامسة من أعمارهم.[1]

وكان المؤدب يعلم الأطفال القراءة والكتابة وترتيل بعض السور التي كانوا يرددونها بصوت عال، وفي الجملة فان طرق وأساليب التعليم لم تتغير منذ عهد ابن سحنون الذي دون في القرن التاسع ميلادي في كتيب (آداب المعلمين) وهو تصنيف يتضمن بعض المسائل المتعلقة بالتربية مثل طريقة معاملة التلامذة واجر المؤدب والهدايا المقدمة اليه.[2] كما سبق الحفصيون بني زيان وبني مرين إلى التحضر والتمدن واستغلال التراث الحضري الذي خلقته دولة الموحدين فكانت دولتهم بتونس تمثل ارقى ما وصلت اليه الحضارة الإسلامية في القرن السابع الهجري وما بعده.[3]

حيث مثلت مدينة القيروان مهد الحضارة والعلم، كما كانت مصدر اشعاع للحركات العلمية والأدبية والفكرية إلى جميع بلاد افريقية فكانت الحياة الثقافية بالقيروان تتضمن إفادات علمية كثيرة عن رجال الفتح ومن دخلها من الصحابة والتابعين ونخبة القادة.[4]

---

[1] محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية في المغرب وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د م ن، 1987، ص 17.

[2] روباربرنشفيك، مرجع سابق ، ج2، ص 375.

[3] رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، وزارة الثقافة الجزائر، د ط، دسان، ص 476.

[4] الأسيدي الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، تق ناجي التنوخي، مكتبة الخانجي مصر، ج1، ط2، 1968، ص3.

ظهرت في بلاد افريقية عدة مساجد وجوامع لعبت دورا كبيرا في ظهور نخبة من المفكرين والعلماء بتونس ومن اهم هذه الجوامع جامع القيروان[1]، القيروان وهي اول مدينة إسلامية في المغرب العربي انشاها عقبة بن نافع عام 670م أصبحت عاصمة لدولة الاغالبة في القرن التاسع الميلادي، واشتهرت القيروان بمسجدها الجامع الذي بناه القائد عقبة بن نافع وهو اول جامع في شمال افريقية كان بناؤه عام 670م.[2]

ومن الروايات التاريخية حول تأسيس القيروان ان عقبة رفع صوته بالدعاء لله وكان "موضع القيروان دخلة مشتبكة بها من أنواع الحيوانات من السباع والحيات وغير ذلك فدعا الله وكان مستجاب الدعوة ثم نادى: ايتها الحيات والسباع انا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحلوا عنا فانا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه".[3]

امر عقبة بقطع الأشجار لاستعمالها في عملية البناء، وعلت الأصوات فهربت الوحوش من الوادي، وعندما تأكد عقبة من هروبها احرق ما تبقى من الأشجار لتنظيف المكان تمهيدا لعملية البناء.[4]

---

[1] **القيروان:** كلمة فارسية معربة كاروان وقد وردت في شعر امرىء القيس، للمزيد ينظر سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الغرب، ص36، وقد ورد تعريف اخر لها وهو لفظ فارسي معرب بمعنى المعسكر أو مستودع السلاح ويقال ان موضع القيروان كان غابة وشعاري.. للمزيد ينظر حسين مؤنس معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 35.

[2] حسان حلاق، مدن وشعوب إسلامية، دار الراتب الجامعية سوفنير، د ن، د ط، د س ن، ص 158.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتاب العلمية بيروت، لبنان، ج3، 1987، ص 320.

[4] سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة، دار النهضة العربية، لبنان، 2003، ص 35.

شرع عقبة[1] في بناء القيروان اختط دار الامارة والمسجد الجامع، اختلط على المسلمين وجهة القبلة لأنه اول جامع أسس في افريقية اغتنم عقبة لذلك فرأى في منامه من ارشده إلى القبلة الصحيحة بعد ان تركزت القبلة بالمسجد شرع المسلمون في تشييده وفي بناء مساكنهم ومساجدهم واستمرت عملية البناء طيلة خمس سنوات.[2]

ويذكر القيرواني في كتابه بان عقبة عند بداية تأسيسه لمدينة القيروان دار حولها وهو يدعو لها ويقول: "يا رب املاها فقط ووعلها، واعمرها بالمطيعين والعابدين، واجعلها عزا لدينك، وذلا لمن كفر بك، واعز بها الإسلام، وامنعها من جبابرة الأرض."[3]

وكان جامع القيروان من الجوامع الكبار المتقنة المشرفة ووسطه فضاء متسع وكان المؤسس له والمقيم لقبلته الرجل الصالح عقبة بن نافع الفهري المعروف بالمستجاب مع جماعة من الصحابة والتابعين،[4] وقد اقترنت حضارة القيروان في عصورها المختلفة بسلسلة لامعة من الأسماء الكبيرة الشهيرة التي أضاءت افاقها الأدبية والعلمية فكانت هداية روحية واشعاعا فكريا لعديد من الأجيال والشعوب العربية الإسلامية.[5]

فأصبحت القيروان غاصة بالعلماء في شتى العلوم والفنون والآداب الذين نشأوا فيها والذين سعوا إلى المشرق ليغترفوا من العلوم هناك ثم قدموا بكل ذلك إلى القيروان كما امتلأت بالعلماء الوافدين اليها لنشر علمهم فيها، او استقدمهم الحكام لنشر العلوم فيها، وبذلك صارت

---

[1] عقبة بن نافع: وهو ابن خالة عمرو بن العاص، ولد في أوائل الهجرة النبوية فاعتبر لذلك صحابي المولد، وتولى امارة جيش افريقية مرتين المرة الأولى من سنة 50هـ-55هـ والمرة الثانية من 60هـ-64هـ وذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان وولده يزيد.. للمزيد ينظر: الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص43.

[2] سعدون نصر الله، مرجع سابق ص 36.

[3] الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، محمد زينهم، دار القرجائي، د م ن، 1994، ص43.

[4] أبوعبد الله العبدري، الرحلة، علي إبراهيم كروي، سعد الدين دمشق، ط2، 2005، ص .160

[5] أبو القاسم، محمد كرو، عصر القيروان، دار طلاس، د م ن، ط2، 1989، ص7.

القيروان مركز علميا اصيلا.[1]

كما عرفت العلوم الإسلامية بالقيروان ازدهار حتى ان معظم فقهاء افريقية من المتخرجين منها[2]وأصبحت بذلك هذه البلاد اجمل مدينة بارض المغرب.

ومما لا شك فيه ان القيروان كانت متأثرة بالحياة الفكرية في المشرق، خاصة بالمراكز الفكرية التي اتصلت بها سواء في مكة والمدينة او الكوفة والبصرة وبغداد وغيرها، ولقد كانت رحلة العلماء والطلاب إلى هذه المراكز لأخذ عن علمائها في مختلف العلوم والآداب فيها وهي المظهر العلمي الواقعي لتأثير القيروان بهذه المراكز والتفاعل معها في حقل الحياة الفكرية.[3] ويبدو ان هذا التأثير المشرقي هو الذي جعل القيروان منارة للعلم والمعرفة في بلاد المغرب يقصدها العالم والفقيه لزيادة الاستفادة بما فيها من كنوز المعارف.

كما كان لجامع القيروان دور وفضل كبير في ظهور حركة علمية في تلك الفترة فقد تميز كل عصر من عصور حضارة القيروان بعدد من الأسماء البارزة التي طبعت عصرها بطابع شخصيتها وميزته عما سواه، بما تميزت به عن المعاصرين في السياسة او الدين او العلم والادب وغيرها من حقول الحياة والفكر والعلم.[4]

تميز العهد الحفصي على العهود التي سبقته على ارتقاء مدينة تونس إلى درجة عاصمة دولة رفيعة الشأن فترتب على ذلك ازدهار في عمرانها وظهور مساجد وجوامع للخطبة، وهي جامع القصبة وجامع القصر وجامع الهواء[5]، غير ان المعلومات حول هذه الجوامع قليلة مقارنة مع جامع القيروان وجامع الزيتونة الذي سياتي ذكره.

---

[1]محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، 1988، ص241.

[2]ليون الافريقي، وصف افريقيا، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ج1، 1983، ص91.

[3]محمد زيتون، مرجع سابق، ص449

[4]أبو القاسم محمد كرو، مرجع سابق، ص7.

[5]خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956، دار البصائر، د م ن، ط خ، 2009، ص 695.

جامع القصبة نجهل تاريخ تأسيسه، ويذكر ان مؤسس اركان الدولة الحفصية أبو زكريا يحي هو الذي بنى الجامع وصومعته الجميلة ونقش اسمه عليها،[1] وكانت القصبة تكون مدينة صغيرة داخل المدينة الكبيرة، وكان والي المدينة وكبار الموظفين يصلون في جامعها صلاة الجمعة[2]، كما ان جامع القصبة درس فيه الفقيه الشيخ أبو عبد الله محمد المهتار وهو راوي الحديث.[3]

اما في تونس وفي القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي فقد وجد نص تسجيلي ورد فيه لأول مرة اسم العريف وهو النقش الموجود بأعلى صومعة جامع القصبة الحفصي بمدينة تونس والمؤرخ عام 630هـ/1234م، ويفيد النص إلى ان العريف علي بن محمد بن قاسم كان مكلفا ببناء الصومعة فقط والنظر في عمارتها، وهذا يدل على التخصص المهني الذي كان يميز عرفاء وبنائي ذلك الوقت.[4]

بالإضافة إلى الجامع الهواء هذه التسمية الجديدة اما التسمية القديمة فهي جامع التوفيق وقد بنته الاميرة عطف زوجة ابي زكريا يحي في عهد ابنها ابي عبد الله محمد المستنصر، وهو يوجد بنهج جامع الهواء حاليا.[5]

---

[1]شوقي الجمل، مرجع سابق، ص 27.

[2]كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، وزارة الشؤون الدينية، د م ن، د ط، 2012، ص66.

[3]ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 301.

[4]محمد محمد الكحلاوي، عرفاء البناء في المغرب والأندلس، مطبوعات مكتبة عبد العزيز العامة، د م ن، د ط، 1996، ص 209.

[5]ابن الشماع، الأدلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تق ظاهر بن المعمري، دار العربية، د م ن، د ط، 1984، ص59.

بالاضافةإلى تلك الجوامع فان جامع الزيتونة يعد من اهم معالم الحضارة تونس، فكان افسح جامع افريقية بعد جامع القيروان وهذا مما يدل على نمو المدينة وعظمة عمرانها.[1]

ويعتبر المعهد الثاني الذي اسهم في بناء القاعدة الثقافية في افريقية بعد جامع عقبة بن نافع فقد وضع اسسه القائد العربي حسان بن النعمان الغساني حوالي عام 80هـ/649م.[2]

ثم أضاف اليه عبد الله بن الحبحاب[3] حوالي عام 116هـ/732م، ثم أعاد البناء محمد بن الاغلب حوالي عام 184هـ/840م، ثم طورته الاميرة عطف ارملة المستنصر عام 1283م، وفي عهد الحفصيين ادخل التعليم فيه ليأخذ شكل الجامعة في القرن الثالث عشر الميلادي.[4] ومن الروايات في اصل التسمية ان الجامع بني في موضع كان مشجرا بالزياتين قطعت كلها ولم تبقى الا زيتونة في وسط ساحة الجامع فسمي بها، وتزعم رواية مسيحية ان الجامع شيد بالقرب من كنيسة قديمة كانت تضم رفات القديسة (اوليف) يعني الزيتونة فمنها جاءت تسمية الجامع الأعظم بجامع الزيتونة.[5]

ومن المحتمل ان هذه الرواية خاطئة وربما الاصح ان المسلمين اختاروا تسمية الجامع بالزيتونة لأنها شجرة مباركة ورد ذكرها في القران الكريم في عدة مواضع في قوله تعالى: "الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه

---

[1] محمد سويسي، أنماط العمران البشري بإفريقية وجزيرة المغرب حتى العهد الحفصي، المركز الجامعي تونس، د ط، 2001، ص 128.

[2] بشير رمضان التيسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب خلال القرن 4هـ/10م، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2003، ص 77.

[3] عبد الله بن الحبحاب: وهو مولى بن سلول وكان رئيسا نبيلا وأميرا جليلا بارعا في الفصاحة والخطابة حافظا لأيام العرب وأشعارها فقدم افريقية في سنة 116 وهو الذي بنى المسجد والجامع ودار الصناعة بتونس وكان اول الأمر كاتب.. للمزيد ينظر: لابن عذاري البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص 27.

[4] حسان الحلاق، مرجع سابق، ص 156.

[5] خير الدين شترة، مرجع سابق، ص691.

نار نور على نور يهدي الله لنوره لمن يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم."[1] كما اقسم عز وجل بعظمة هذه الشجرة في سورة التين في قوله: "والتين والزيتون(1)وطورلسنين(2) وهذا البلد الأمين(3)" [2]وهذا خير دليل بان اختيار المسلمين جاء تبركا بشجرة الزيتون لما فيها من منافع.

كما ان جامع الزيتونة اقدم المعاهد العربية الثلاث الموجودة بشمال افريقية والمعهدان الاخران هما جامع القروبين بفاس والجامع الازهر الشريف.[3]

ويعتبر جامع الزيتونة من احسن الجوامع واتقنها وأكثرها اشرافا، وما من فن من فنون العلم الا وجدت بتونس به قائما ولا مورد من موارد المعارف الا رأيت بها حوله وارد او حاكما.[4] وقد قال فيه ابن الشماع: "وجامعها مليح الصنعة، حسن الموضع مطل على البحر، بناه عبد الله بن الحبحاب، ودار الصناعة سنة اربع عشرة ومائة."[5] ومن الجدير بالملاحظة ان جامع الزيتونة عند انشائه لم تكن له مئذنة في ذلك شانه شان سائر المساجد في بلاد المغرب عدا الجامع الأعظم بالقيروان وذلك اقتداء بالمسجد بالمدينة النورة الذي لم يكن له مئذنة اول تأسيسه.[6]

---

[1]سورة النور، الآية .35

[2]سورة التين، الآية 1،2،3.

[3]محمد ابن الخوجة، صفحات هن تاريخ تونس، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص.286

[4]أبو عبد الله العبدري، مصدر سابق، ص 110.

[5]ابن الشماع، مصدر سابق، ص 32.

[6] بشير رمضان التليسي، مرجع سابق، ص78.

وقد عرف الجامع في عهد بني حفص اهتمام من الامراء تمثلت الاشغال التي تمت فيه في الزيادة في مساحة الجامع بإضافة الصحن من الجانب الشرقي خص لإقامة الصلاة على الجنازة ولذلك سمي بصحن الجنائز.[1]

أصبح جامع الزيتونة فيها بعد مركزا [2]عظيما للثقافة واللغة العربية طيلة قرون عديدة وانجب عباقرة كثيرين أمثال ابن خلدون وابن عرفة،[3] ويعد الجامع اكبر المؤسسات العلمية اتساعا وارقاها في تدريس الحديث والفقه والعربية وغيرها من العلوم، حيث كان مجمعا لطلاب العلم والمحدثين يقصد من كل مكان، ومن الشواهد التي تؤكد مزاولة التعليم بجامع الزيتونة بتونس القرن 3هـ/9م، هو ان أبا العباس عبد الله بن احمد الألباني كان يقرئ فيه الحديث ومسائل الفقه.[4]

وجامع الزيتونة لم يكن جامعا فحسب بل هو جامعة أيضا حيث تم التدريس فيه لمواد الادب والتاريخ والفلسفة الدينية واللغوية، ويتبع الجامع بمكتبة تضم مخطوطات نادرة، حقق بعضها المحققون من العرب والمستشرقين وكانت تضم حوالي أربعين الف مخطوط نقلت بعضها إلى معاهد العلم والجامعات منها جامعة تونس، وذلك ليتسنى للباحثين العرب والأجانب من الاطلاع عليها ودراستها.[5]

---

[1] خير الدين شترة، مرجع سابق، ص 696

[2]ابن عرفة: هو بربري من الجنوب التونسي تعلم بمدينة تونس وأصبح منذ النصف الثاني من القرن الرابع عشر من أكبر رجال الدين فيها.. للمزيد ينظر: محمد الهادي الشريف تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ص19.

[3]أبو القاسم محمد الكروي، مرجع سابق، ص19.

[4]بشير رمضان التلسي، مرجع سابق ص.80

[5]حسان حلاق، مرجع سابق، ص .157

ومن المؤكد ان الأجانب كان لهم حظ وافر من مخطوطات وعلوم العرب الأولى فمن خلال ترجمتهم للمخطوطات وغيرها،اصبحوا يمثلون شعلة العلم والمعرفة، وذلك من خلال اكتاف العرب والمسلمين.

وقد سميت تلك المكتبة بالعبدلية نسبة إلى حفيد المنتصر أبو عبد الله محمد، وعبثت ايدي الاسبان بمسجد الزيتونة ومحتوياته فالقوا بالكتب والدواوين في الشوارع وداسوها بأرجلهم،[1] لم يكن نظام جامع الزيتونة يسمح لمشائخه في اول العهد الحفصي ان يفسحوا المجال كثيرا في تعليمهم لتلقين الناشئة والطلبة اللغة والادب، وشتى فنون القول وشرح الاثار الأدبية لهم فقد كان أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد البر التنوخى المؤرخ والاديب يتورع عن رواية مقامات الحريري في رحاب جامع الزيتونة فكان يدرسها في مقصورة الامام وايده في ذلك ابن عرفة من بعده.[2]

كما أولى الامراء الحفصيين رعاية كبيرة للعلماء حيث كان للسلطان ابي فارس عبد العزيز اهتمام كبير بالعلم حيث فرض ترتيب قراءة صحيح البخاري كل يوم بين الظهرين بجامع الزيتونة وقراءة الترغيب[3] والترهيب بعد العصر والترغيب والترهيب هو كتاب في الحديث لابن القاسم إسماعيل الفضل بن محمد القرشي 457هـ.

واستمر التعليم بالزيتونة وتطور بتطور العصر وتطور العلوم حتى اصبح لا يقل مكانة عن جامع القرويين بفاس او الازهر بالفستاط، وهكذا كان جامع عقبة بن نافع والزيتونة من

[1] عبد الرحمن حسين العزاوي، المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الخليج، الأردن، 2014، ص 153.
[2] خير الدين شترة، مرجع سابق، ص.678
[3] جميلة مبطي المسعودي، مرجع سابق، ص 209.

منابر العلم بإفريقية ولعب دورا مهما في تخريج عظماءالعلماء في سائر العلوم السائدة يومئذ وبخاصة علوم اللغة والحديث.[1]

ومن الجدير بالذكر انه كان تلاميذ الكلية الزيتونة خاضعون لنظام شديد لا يعرفون غير القراءة والمطالعة من الصباح إلى المساء، واكثرهم من أبناء الديار التونسية، اما رفقائهم أبناء الحاضرة فسكناهم بديارهم، اما التلاميذ أفقيون فسكناهم في المدارس.[2]

من المؤكد ان المدرسة وفرت فرصا للطلبة القادمين من خارج العاصمة لم تكن تتوفر لهم لولا تواجد هذا النوع من المؤسسات، فقد ساهمت في إعطاء منح للطلبة كما ان العديد منهم سكنوا المدارس.[3]

[1] بشير رمضان التليسي، مرجع سابق، ص81.

[2] محمد ابن الخوجة، مصدر سابق، ص286.

[3] محمد ناجي بن مامي، مدارس تونس من العهد الحفصي إلى العهد الحسيني القرن 7هـ/13م، مجلة المؤرخ العربي، العدد 34، ص285.

المبحث الثاني: الزوايا والربط في العهد الحفصي:

نجد في هذا العهد أن أماكن العبادة انحصرت في المساجد والزوايا والأربطة التي انتشرت في شتى أنحاء المغرب، وكان لها دور كبير في الحياة الدينية والاجتماعية حيث كان الناس يجتمعون للذكر وتلاوة القران.

الزاوية: يمكن تعريفها بأنها مرحلة وسطى بين الكتاب الذي هو مدرسة ابتدائية والمدرسة التي هي معهد ثانوي، فالزاوية تشبه ما تسميه الان مدرسة اعدادية، وقد زادت هذه المدرسة انفصالا منذ عصر الموحدين عن الرباط الذي هولها بمثابة الأم.[1]

وللزوايا أنواع منها الزاوية البسيطة ولا تنتسب لطريقة او لمذهب وهي عبارة عن مجموعة من الأبنية لمبيت الطلبة وتعليمهم، وتتكون من الكتاب وغرفة التدريس ومكتبة وجامع، وهناك نوع اخر من الزوايا وهي ان تكون على ضريح او تابعة لولي من أولياء الله الصالحين فتكتسب سمعة جيدة وتكثر إيراداتها من زوارها ونذورهم وتدريجيا تتحول إلى مركز عمراني كبير.[2]

وخلال العهد الحفصي كان الملوك والسلاطين يهتمون بزوايا الشيوخ والصالحين والحبس عليها وتعميرها والنظر في مصالحها لدورها الهام في الحياة العلمية وكانوا يشملون أبناء هؤلاء

[1] محمد عادل عبد العزيز، مرجع سابق، ص38.

[2] الهام حسين دحروج، قابس من الهلالين إلى الحفصيين، جامعة القاهرة، د ط، 2000، ص 250.

الشيوخ بعنايتهم من ذلك واعفائهم من الضرائب والمفارم السلطانية تكريما لهؤلاء الشيوخ الصالحين وتبركاهم.[1]

ان التعليم كان مشاعا لكافة الناس وقد أطلق على المؤسسة التعليمية الأولى الكتاب وعادة ما تكون مدعومة ماديا من قبل الأوقاف، وكان المؤدب يعلم الأطفال القراءة والكتابة بالمسجد ثم ينتقل القارئ بعدها إلى الزاوية لمواصلة دراسته.[2]

وكانوا يعيشون فيها على وجه العموم في ظروف متواضعة بحيث ان الأثرياء كانوا يحبسون اوقافا من عقارات وبساتين للإنفاق عليها.[3]

وزيادة على ذلك وجدت بأغلب الزوايا بتونس مكتبات حافلة بنوادر المخطوطات يستعين بها الشيوخ والطلبة، وأقدم الزوايا زاوية محرز بن خلق وكان يعلم القران والفقه ولقب محرز بالمؤدب والمربي لاشتهاره بالتعليم وكان يدرس بزاويته ابن ابي زيد القيرواني.[4]

ولعل اهم زاوية بالقيروان زاوية الشيخ ابي عبد الله محمد بن عبد الرحمان القيسي الرماح 1349م وزاوية ابي عبد الله محمد بن عبد الله السباتي 1384م.[5]

وعلى ما يبدو أن أهل تونس كانوا يمجدون تلك الزوايا ويقيمون احتفالاتهم الدينية فيها، فتجدهم يعظمون ليلة الثاني عشر من ربيع الأول ويشدون الاشعار التي تضمنت مدائح خير

[1] كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د ط، 1998، ص112.

[2] عبد الرحمن حسين العزاوي، مرجع سابق، ص.155

[3] روبارت رنشفيك، مرجع سابق، ج2، ص376.

[4] خير الدين شترة، مرجع سابق، ص 676.

[5] المرجع نفسه ص 676.

البرية وتوقد القناديل وتسرج الشموع، وتكون تلك الليلة اشهر الليالي سنتهم ويزينون الزوايا وتدوم خمسة عشر يوما لا تخلوا من المدائح.[1]

وكنتيجة للتأثيرات المتبادلة بين المغرب فقد وفدت عدة طرق على تونس من المغربيين الأوسط والاقصى مثل الطريقة التيجانية والطريقة العروسية للشيخ أحمد بن عروس المتوفي في سنة 868هـ/ 1463م، وله في تونس زاوية كبيرة. وقد أجريت عليها اعمال ترميم من طرف العريف أبو عبد الرحمان المصري وهو من عرفاء الحفصيين حيث وجد اسمه مسجلا على النقش وكان ذلك بأمر من الخليفة أبي زكريا يحي كما وجد نقش اخر في واجهة زاوية سيدي الكلاعي.[2]

الزاوية الشاذلية: نموذجا

هذه الزاوية أسسها المتصوف أبو الحسن الشاذلي الذي ولد بالمغرب سنة 593هـ/ 1197م، وتتلمذ على الوالي الصالح عبد السلام بن مشيش واستقر بتونس وجمع من حوله جماعة سموا بالأربعين. وحسب ابن ابي دينار فانه بقلبي مدينة تونس جبل يعرف بجبل التوبة لاينبت شيئا

أعلاه قصر مبني مشرف على البحر ويبدو انه مقام الشيخ العارف بالله سيدي أبي الحسن الشاذلي ولم يبق للقصر أثر الا المغارة التي تنسب للشاذلي.

المكرمة لأداء فريضة الحج وأدركته المنية هناك سنة 656هـ/1258م، فدفن على شاطئ البحر الأحمر في قرية يقال لها حميترة وله فيها إلى الا الان ضريح يزار ويتبرك به، وتعتبر الطريقة الشاذلية أسلم الطرق وأقربها إلى السنة.[3]

[1] ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 292.

[2] محمد محمد الكحلاوي، مرجه سابق، ص 209.

[3] كمال غربي، مرجع سابق، ص165.

والمعلوم أن الطريقة القادرية من أقدم الطرق الصوفية بالبلاد التونسية وتعتبر الطريقة الأم التي تفرعت عنها جل الطرق الفرعية وبذلك فالطريقة الشاذلية تولدت عن القادرية.[1] وحسب احدى المرويات فان الشاذلي الذي قدم من المغرب واستقر بتونس اجتمع حوله أصحابه الاربعون واقام على نحو ذلك عشر سنين ولما اشتهر علمه وفضله رجع إلى الله على يده جمع غفير، فحسده القاضي الفقيه الشيخ احمد بن البرا فوشى به إلى السلطان أبي زكريا الحفصي ورماه بالسحر فعزم السلطان على ابعاده من تونس وفي ذلك اليوم احترقت جارية للسلطان كان يحبها فخاف السلطان وطلب مرضاة الشيخ، الا أن الشاذلي لم يعبأ بذلك وارتحل قاصدا الإسكندرية.[2]

وقد تبع الطريقة الشاذلية مريدون كثيرون منهم السيدة عائشة المنوبية المتوفاة سنة 665هـ/1267م، وهي من قرية منوبة غربي مدينة تونس ولها زاوية كبيرة ولبعض النساء ببلدتها اعتقاد فيها ولذلك يزرنها ويتوسلن بها لحاجاتهن كالحمل.[3]

وحسب ابن الشماع أن السلطان أبو فارس عبد العزيز أنشأ زاوية سجوم وكانت غاية في الحسن والاتقان وعمل فيها جامعا للخطبة ولقراءة العلم ورباط لسكن طلبة العلم واوقف عليها حبسا يكفيها وجعل فيها سماطا للمقيمين بها والواردين عليها.[4]

ان كثرت انتشار الزوايا في الدولة الحفصية تدل على انتشار التصوف بها وقد كان التصوف على نوعين تصوف متطرف وتصوف معتدل وهذا ما كانت عليه الزاوية الشاذلية. ونذكر من جماعة الأربعين الذين التفوا حول الشاذلي: محمد الغماري وهو اول من صحب

[1] التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والاشهار الفرنسي، كلية الآداب منوبة، تونس، 1881، ج2، د ط، 1992، ص 46.
[2] محمد بن الخوجة، مصدر سابق، ص 397.
[3] شوقي ضيق، مرجع سابق، ص .165
[4] ابن الشماع، مصدر سابق، ص 114.

الامام الشاذلي عند دخوله لتونس توفي سنة 663هـ/ 1264م، وماضي بن سلطان المسروقي خادم الامام وتوفي سنة 718هـ/ 1318م.

ومن أصحابه كذلك الشيخ سيدي أبي عبد الله محمد الحبيبي توفي بتونس وهو مدفون قبلة الزلاج في جبانة مباركة اجتمع فيها أربعة أشياخ من أهل الفضل والبركة.

ينزلها الدراويش وكثير من المشعوذين كان منهم من يدعي لنفسه الكرامات وأنه من أولياء الله.[1]

الربط: إلى جانب المساجد والزوايا وجدت الربط التي ساهمت بشكل واضح في الحياة الاجتماعية والدينية للمجتمع الحفصي وتعدد وجودها سواء في المناطق الداخلية او على السواحل.

الرباط: جمعها ربط والرباط في الأصل اسم حربي للثغر الذي يرابط فيه الجنود لمجاهدة العدو، ثم أطلق على الدار التي فيها المتصرفون لمجاهدة النفس وكانت الربط من جملة مواضيع التعليم.[2]

كما يقصد بالرباط ملازمة ثغر العدو وتعني أيضا المحافظة على أوقات الصلاة وقد تم تفسيره حسب الآية الكريمة: "يا أيها الذين أمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون".[3]

---

[1] شوقي ضيق، مرجع سابق، ج9، ص .165

[2] أنور محمود زناتي، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة عين شمس، المملكة الأردنية، 2011، ص 178.

[3] سورة ال عمران، الآية .200

والرباط مصدر رابط أي لازم وهو منشأة دينية إسلامية تقام على السواحل[1]، وكان يجتمع فيه طوائف من اتقياء المسلمين في الليالي الفاضلة لتلاوة القران والسماع لكتب الوعظ والتذكير بالله وكذلك وجدت الاربطة الداخلية والتي ساهمت بدور كبير في توفير الامن والاستقرار في المواضع الخطيرة حيث أمنت الطرق للمسافرين والتجار حيث ورد أن بعض الصالحين كانوا يقيمون في المواضع التي كانت فيما مضى مأوى لأهل الفساد وقطاع الطرق الذين يهاجمون القوافل.[2]

لم تكن الاربطة حديثة العهد الحفصي بل وجدت منذ عهد الدولة الأغلبية وازداد انتشارها في العهدين المرابطي والموحدي.

ومن الاربطة الموجودة في افريقية رباط البحر بقابس[3] ورباط سوسة [4]ورباط المنستير. نستهل الحديث عن رباط سوسة وهي مدينة كبيرة على ساحل البحر المتوسط اتخذها المسلمون قاعدة لنائب الوالي وهناك شيدوا قصر الوالي الذي أصبح اليوم شبه زاوية[4] ويفصل بين هذه المدينة وبين صفاقس يومان وأكثر أهلها ينسجون الثياب الرفيعة وبين المهدية وسوسة ثلاثة أيام.[5]

---

[1]الهام حسين دحروج، مرجع سابق، ص .252

[2]كمال أبو مصطفى، مرجع سابق، ص .113

[3]قابس: مدينة بالبلاد التونسية تقع على ساحل الخليج المعروف في العصور القديمة بيسرتا الصغرى على مسافة 404كلم جنوبي مدينة تونس وعلى بعد 150 كلم من مدينة قفصه، كما عرفت قابس بدمشق المغرب لإشهارها بالحرير، ينظر: محمد طالبي دائرة المعارف التونسية، ص100.

[4]سوسة: مدينة تقع على الساحل في مكان مرتفع قليلا من جهة البر مما يجعل جميع دورها تشاهد البحر، ينظر: مارمول كربخال، افريقيا، ج3، ص 66.

[5]ليون الافريقي، مصدر سابق، ص 83.

وفي عهد الأغالبة قام الأمير أبو العباس محمد بن الأغلب خامس أمراء الأغالبة ببناء جامع سوسة الذي يعتبر من أجمل الأثار المعمارية الإسلامية في افريقية ، ومن منشاته أيضا رباط سوسة المعروف بقصر الرباط.[1]

وحسب وصف الحموي لمدينة سوسة فانه لها ثمانية أبواب وخارجها محارس ومرابط ومجامع للصالحين وداخلها محرس عظيم كالمدينة مسور بسور متقن يعرف بمحرس الرباط يأوي اليه الصالحون وقيل داخلها محرس اخر عظيم يسمى محرس القصب وهو متصل بدار الصناعة.[2]

ورباط سوسة عبارة عن طابقين يخصص الأول منهما للمسجد وقاعات الدرس والاجتماع والطعام ويخصص الثاني للحراسة والعبادة وفي العادة يقوم عليه شيخ من أهل التقوى والصلاح وهو الذي يتولى تنظيم وتسيير العبادة او الحراسة فيه.[3]

وكان رباط سوسة قريب الشبه برباط المنستير وهو أقدم وأجمل منه من الناحية الهندسية وقد اتسع هذا الرباط حتى أصبح حصن كثير المساكن.

ومن رباط سوسة ركب أسد بن الفرات البحر غازيا صقلية في ربيع الاخر سنة 212هـ[4]، وهذا خير دليل على أنها كانت منذ نشأتها منبرا للجهاد في سبيل الله، كذلك اعتبرت مشعلا للعلم والمعرفة فقد خرج من هذه المدينة محدثون وفقهاء منهم يحي بن خالد السوسي مغربي[5].

---

[1]ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1482، ص40.

[2]ياقوت الحموي، معجم البلدان دار صادر بيرت، ج3، دط دس ن ص 282.

[3]ابن وردان، مصدر سابق، ص .42

[4]العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تق: حمزة أحمد عباس، أبو ظبي، الامارات، ج4، د ط، 2002، ص .142

[5]ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص282.

ومن الأربطة الشهيرة في افريقية رباط المنستير وهي مدينة قديمة بناها الرومان على الساحل على بعد أربعة فراسخ من سوسة إلى جهة الشرق.[1]

ومنستير يضم أوله وفتح ثانيه هو موضع بين المهدية[2] وسوسة بإفريقية بينه وبين كل واحدة منها مرحلة، وهي خمسة قصور يحيط بها سورواحد يسكنها قوم من أهل العبادة والعلم، ويقال أن الذي بنى القصر الكبير بالمنستير هرثمة بن أعين سنة 180هـ وله في يوم عاشوراء موسم عظيم ومجمع كبير.[3]

ويوجد خارج الرباط عدد كبير من الممتلكات الزراعية المغروسة بأشجار الفواكه وعدد لا يحصى من شجر الزيتون.[4]

ويتكون المنستير من عدة بيوت من الحجر والطواحين الفارسية ومواجل الماء وهو حصن كبير عال متقن العمل، وفي الطبقة الثانية مسجد لا يخلو من شيخ خير فاضل يكون مقصد القوم.

وفيه جماعة من الصالحين المرابطين حبسوا أنفسهم فيه منفردين عن الأهل والوطن وفي قبلته حصن فسيح مزار للنساء المرابطات وبه جامع متقن البناء وحمامات اهل القيروان يتبرعون بحمل الأموال إليهم وبقرب المنستير ملاحة يحمل ملحها في المراكب إلى عدة مواضع.[5]

---

[1] لمارمول كربخال، مصدر سابق، ج3، ص 69.

[2] المهدية: مدينة افريقية تقع على ساحل البحر المتوسط وهي من بناء الخليفة عبيد الله المهدي وتبعد عن القيروان حوالي 60 ميلا، ينظر السيد أبو مصطفى جوانب حضارية من نوازل الونشريسي، ص 71.

[3] ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج5، ص 209.

[4] ليون الافريقي، مصدر سابق، ج2، ص 97.

[5] ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج5، ص 209.

وخلال العهد الحفصي لم يكن المنستير رباط للجهاد والانزواء فقط بل أصبح مركزا علميا وثقافيا.

وكان بمثابة منتدى لرجال الفكر والثقافة والدين يقصدونه من كامل البلاد التونسية ومقر الإقامة عدد من الأدباء والشعراء ورجال الدين قدموا خاصة من المهدية والقيروان نذكر منهم الأديب الشاعر الفقيه أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن عثمان الزناتي الحنفي سنة 13 صفر 655هـ وفي عهده أصبحت مراكز التعليم مذهب أبي حنيفة لأول مرة في التاريخ المذهبي الديني بإفريقية.[1]

كذلك اعتبر المنستير مركز الاشعاع الروحي والتصوف والتجرد لعبادة الله يأتي اليه الفقهاء والزهاد خاصة من القيروان يقضون رمضان فيه ومنهم من يتصرف فيها ثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان يخصصونها لتلاوة القران وقراءة الأذكار، ومن المتصوفة الذين سلكوا الطريق الرباني وأقاموا طويلا فيه نذكر أبا عبد الله محمد بن عبد الله السبائي الجديدي بمكة سنة 786هـ.[2]

والملاحظ أن السلاطين الحفصيين قد اهتموا بتحصين هذا الرباط حيث ينسب إلى المستنصر بناء مسجد باب الدرب بالمنستير.[3]

ويعتقد أن نزول المرابطين والمتصوفة بهذا الرباط يعود إلى وجود حديث نبوي فعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "بساحل قمونية باب من أبواب الجنة يقال له المنستير من دخله فبرحمة الله ومن خرج منه فبعفو الله".[4]

---

[1] أحمد الطويلي، مرجع سابق، ص 75، 76.

[2] المرجع نفسه، ص 79.

[3] عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 791.

[4] المالكي، رياض النفوس، تق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ج1، ط2، 1414هـ/1994م، ص 45.

وقد تعددت الآراء في تعريف مصطلح قمونية: فهناك من يقصد به الساحل التونسي وخاصة ما يعرف اصطلاح الجغرافيين رأس قبودية.[1]

الا أن اخرون يعرفونها على هذا النحو: قمونية بالفتح وبعد الواو نون ثم ياء خفيفة وهي مدينة بإفريقية كانت موضع القيروان وقال بعضهم ان قمونية هي المدينة المعروفة بسوس المغرب.[2]

ومما لا شك فيه أن هذا الحديث النبوي قد غرس حب الجهاد في نفوس المسلمين ودفع بهم للمرابطة في المنستير، ففي بداية الأمر كان عبارة عن مقر لصد الهجومات والأخطار وبعد ذلك تحول إلى مركز للعلم والتفقه.

[1] المصدرالسابق، ص 45.

[2] ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص 399.

المبحث الثالث: المدارس والمكتبات الحفصية:

كانت المساجد والزوايا هي مراكز العلم في العالم الإسلامي، ثم ظهرت منشئات ثقافية جديدة في عصر الدولة الحفصية نجد الحركة العلمية تزدهر بفضل رعاية الدولة لها وما أنشأت من مدارس شارك فيها المهاجرون الأندلسيون إلى تونس.

والملاحظ أن انشاء المدارس ارتبط ارتباطا وثيقا بالحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تكون عليها البلاد في مختلف الفترات، فاذا ما كانت الفترة متسمة بالرخاء والازدهار تكون أنذاك الحظوظ أوفر لإنشاء مدرسة أو أكثر، وان كانت الفترة تطغى عليها الأوبئة والمجاعات والحروب يكون من الصعب إقامة أي معلم.[1]

ولما كان انشاء المدارس في المشرق يخدم هدفا سياسيا بعيدا وهدفا تعليميا قريبا، كذلك كان الامر بالنسبة لإنشاء المدارس في المغرب اذ قامت مدارس موحدية في أيام عبد المؤمن بن علي هدفها تخريج موظفين حكوميين متشبعين بالمبادئ والآراء الموحدية ولخدمة ودعم مركز الموحدين،[2] اذن يمكن القول أن موجات التجديد للحالة العلمية بالغرب الإسلامي لم تكن لتنقطع بالمرة الا أن الرياح التي تدفع بها كانت دائما تأتي من المشرق.[3]

ويتضح من خلال الدراسة أن مدارس تونس تنقسم إلى قسمين: مدارس ذات طابع رسمي وأخرى يمكن أن ننعتها بكونها خاصة أو حرة، فالأولى أسست من قبل أشخاص ينتمون إلى النظام الحاكم كالسلاطين والأمراء والأميرات، والدايات والبايات، أما الثانية فهي مؤسسة من قبل بعض الخواص، من بينهم بعض المتصوفين وقواد الجيش وغيرهم.[4]

---

[1] محمد الناجي بن مامي، مرجع سابق، ص 285.

[2] نجاح القابسي، المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، مجلة المؤرخ العربي، العدد 19، ص 188.

[3] بناصر البعزاتي، العلم والفكر العلمي في العصر الوسيط بالغرب الإسلامي، كلية الآداب والعلوم، الرباط، 2001، ص173.

[4] محمد الناجي بن مامي، مرجع سابق، ص 284.

شجع أبو زكريا المدارس على تدريس الفقه المالكي الذي عمل الموحدين على طمس معالمه وأصبحت تلك قاعدة اتبعتها مدارس المغرب عامة، لذا قيل عن المدرسة في المغرب أنها كانت كما في المشرق مدرسة حكومية نسبية تنشر المذهب الذي ارتضته الدولة وتعد للتأهيل لكل الوظائف العامة الدينية والشرعية القضائية.[1]

ونظرا لانتشار المذهب المالكي بإفريقية فان مدارس مدينة تونس حبست خلال الفترة الحفصية على هذا المذهب فقط، وتواصلت سيطرته على المدارس حتى قدوم الأتراك العثمانيين وأولى نتائج قدومهم هي محاولة بث المذهب الحنفي واعتبروا أن نشره لا يكون الا عن طريق المدارس التي يعين فيها أساتذة موالين لهم، ومدارس تونس كلها أحادية أي على مذهب واحد.[2] لقد كان قسم كبير من السكان يعانون الأمية، وقد انجز عن ذلك التجاء السكان إلى الكاتب العمومي لتحرير عرائضهم او مطالبهم، ولكن ما تجدر الإشارة اليه في المقابل أن التعليم في المساجد كان مفتوحا في وجه جميع الناس على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم، ومن ناحية أخرى فان مجانية التعليم في المدارس كانت تساعد الشبان المنحدرين من الأوساط الشعبية على تلقي العلوم الدينية المتينة والارتقاء فيما بعد إلى مرتبة اجتماعية أعلى.[3]

وكانت المدارس مفتوحة ليلا ونهارا، ولم تقتصر على القاء الدروس واجتماع الطلبة في حلقات حول شيوخهم بل كانت أيضا مقر السكنى الطلبة خاصة من الوافدين عليها من الخارج، وكان لها ولي مكلف بها يرى شؤونها، فقد اقترنت الرحلة بطلب العلم، وارتفاع نسبتها مرتبطا

[1] نجاح القابسي، مرجع سابق، ص189.

[2] محمد الناجي بن مامي، مرجع سابق، ص 284.

[3] روبار برنشفيك، مرجع سابق، ج2، ص 374.

بنشاط الحركة العلمية في حاضرتي المغرب منذ القرن 6هـ/ 12م، واقترنت كذلك بالتوجه نحو البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج.[1]

كما لقيت الحركة التعليمية اهتماما واقبالا ملحوظا لدى المدارس التونسية، وكان الاقبال متزايد على العلوم الإنسانية والدينية كالفلسفة والمنطق والجدل والتاريخ والفرائض، أما العلوم الدينية فلم تلقى من العلماء والطلبة الا اهتماما محدودا، وقد اقتضت ميول خلفاء بني حفص إلى الأدب والتاريخ والتراجم.[2]

وغدت تونس مركزا عظيما من مراكز الفكر والفن، وهذا الفضل يرجع إلى بني حفص هم الذين أدخلوا اليها نظام المدرسة في التربية والتعليم في القرن الثالث عشر ميلادي وهو النظام الذي كان معروفا قبل ذلك في المشرق.[3]

فقد كان الخلفاء والأمراء الحفصيين يولون عناية كبيرة بشأن دولتهم، ويتضح ذلك من خلال تمجيد المقري للأمراء الحفصيين وأعمالهم من خلال قوله: "اللهم ان الايالة الحفصية قد أعليت مظاهرها نصرت معاشرها قصرت على المصالح الدينية والدنيوية مواردها ومصادرها ثم اصطفيت من شرف بينها الصراح ومعدن سؤددها الوضاح مولانا الأمير الأجل المؤيد البارك أبا عبد الله فانتضيته حساما في يدك قائمه وارتضيته اماما لا تلين في ذاتك صرائمه".[4]

وهذا خير دليل على اهتمام الأمراء بالأمور الدينية والحرص على تطور الوضع الثقافي داخل دولتهم، وقد كان للهجرة الأندلسية لبلاد المغرب عامة وإلى تونس خاصة أثار إيجابية

[1] علاوة عمارة، مغرب أوسطيات، دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط، مكتبة اقرأ قسنطينة، الجزائر، 2013، ص110.

[2] محمد الناجي بن مامي، مرجع سابق، ص 285.

[3] شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، دار العلم للملايين، لبنان، ج2، 1993، ص 1261.

[4] المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، د م ن، د ط، د س ن، ص 574.

على جميع الأصعدة، وخصوصا الثقافي الفكري وذلك لما حملوا معهم من الأندلس فوقع تمازج بين الأفكار وأصبحت بنفس جديد.

كما اشتغل المهاجرين الأندلسيين في مجال التعليم الابتدائي، وفي التعليم العالي كذلك في المغرب الأدنى بغرض الارتزاق منه، فتغيرت طرق التعليم ومناهجه ومما لا شك فيه أن الأندلسيين لتفوقهم الثقافي وانتشار المعرفة في صفوفهم كان الاقبال عليهم عظيما إلى حد جعلهم يحتكرون مهنة التعليم،[1] خاصة وأن التعليم في أغلبه تعليما حرا لا يستدعي رضا السلطة عن المشتغل به، بل يستدعي الكفاءة بالدرجة الأولى.[2]

عرفت المدارس التونسية في العهد الحفصي شهرة واسعة وذلك لما كان بها من نشاط علمي وأدبي ولقد بنيت حوالي أقدم مدرسة بإفريقيا الشمالية اذا استثنينا المدارس الموحدية داخل القصور حوالي سنة 1240 م في مدينة تونس حسب الاحتمال.[3]

عند الحديث عن المدارس الحفصية لا يمكننا أن نحصر عددها وذلك لندرة ذكرها وقد تباينت المعلومات من مدرسة لأخرى، ويمكن ارجاع هذا إلى أهمية المدرسة او لمؤسسها. وأولى هذه المدارس هي المدرسة الشماعية: 633هـ/ 1237م، مؤسسها هو أبو زكريا يحي الأول، ويبدو أن تأسيسها قد عاصر فترة الاستقلال عن الدولة الموحدية في حدود سنة 633هـ/1237م، وقد أسسها الخليفة الحفصي قرب الجامع الأعظم قريبة من سوق العطارين، ولازالت هذه المدرسة قائمة إلى الان وهي تقع بسوق البلاغجية زنقة الشماعين.[4]

---

[1] مريم بوعامر، الهجرة الاندلسية للمغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري ما بين 7هـ و9هـ، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010/2009، ص 109.

[2] علاوة عمارة، مرجع سابق، ص 107.

[3] روبار بر نشفيك، مرجع سابق، ص 386.

[4] ابن الشماع، مصدر سابق، ص 52.

وسميت هذه المدرسة بهذا الاسم الشماعية لقربها من سوق الشماعين وكانت تعرف بأم المدارس بتونس، وذكر المؤرخين أنها أنشئت لتكريس المذهب الموحدي ونشره وتغليبه على المذهب المالكي،[1] وحسب اعتقادي أن هذا غير صحيح فجميع المدارس حرصت على نشر المذهب المالكي وتدريسه.

ومن أشهر علمائها ومشايخها أبو القاسم ابن البراء وأبو علي عمر بن قداح الهواري، وأبو القاسم القسنطيني، وأبو البحيري، ويذكر الأستاذ محمد ابن الخوجة أن جراية المدرس بها في الدولة الحفصية عشرة دنانير.[2]

ومن الجدير بالذكر كذلك أنه قد تواصل بها عقد الدروس العلمية إلى القرن 20م، وممن سكنها ابن عرفة والبرزلي والأبي، وكان يوم الخميس والجمعة يومى راحة بها وكان أبو علي بن قداح الهواري يضيف اليها يوم الاثنين.[3]

وثاني المدارس هي المدرسة التوفيقية 650هـ/1252م:

شرع في بنائها سنة 650 هـ/ 1252م ومولت بنائها السيدة عطف أرملة أبي زكريا يحي الأول الحفصي في عهد ابنها أبي عبد الله محمد المستنصر،[4] كما أن المدرسة ملاصقة للجامع الذي يحمل نفس الاسم، وقد بنته عطف نفسها في الربض الجنوبي[5]، وكانت المدرسة تقع بربض رياض السعود معقل الزعيم اليوم وكان يسمى رحبة الغنم، وكما يذكر بأنها سميت بمدرسة جامع الهواء وذلك لمناخها الطيب.[6]

---

[1] مريم بو عامر، مرجع سابق، ص 82.

[2] ابن الشماع، مصدر سابق، ص 52.

[3] خير الدين شترة، مرجع سابق، ص680.

[4] مريم بوعامر، مرجع سابق، ص82.

[5] روبار بر نشفيك، مرجع سابق، ج1، ص386.

[6] خير الدين شترة، مرجع سابق، ص 680.

ومن أول مدرسي التوفيقية ابن سيد الناس المحدث المشهور تم استدعاه المستنصر الحفصي لشهرته ليدرسه الحديث بالتوفيقية، وأبو عبد الله محمد الشريف المتوفي سنة 666هـ/ 1268م، والامام ابن عرفة الذي فر منها عند انتشار الطاعون بتونس وسكنها تلميذه محمد الأبي سنة 796هـ/ 1393م،[1]بالإضافة إلى أبي الحسن الشاذلي تم تعيينه من السلطان المستنصر اماما بمسجد الهواء ومدرسا بالمدرسة التوفيقية بشكل رسمي.[2]

أما المدرسة الثالثة فهي المدرسة المعرضية: 1284م

وهي من أقدم المدارس واجلها في العهد الحفصي بناها الأمير أبو زكريا يحي بن سلطان أبي إسحاق إبراهيم في حدود سنة 683هـ/1284م مكان فندق كان يسكنه أهل السرف وهو فندق سيء السمعة بتونس بإزاء دار الغوري بسوق الكتبين،[3] حبس على هذه المدرسة عمر ابن أبي زكريا، ريعا كثيرا اشتراه بماله مع كتب نفسية في كل فن من فنون العلم.[4]

وقد عرفت هذه المدرسة باسم اخر هي مدرسة الكتبيين لموقعها بسوقهم، ذكر البلوي في رحلة هذا الاسم، كما أن ابن بطوطة نزلها وحضر دروسها، ومن أوائل مدرسيها أبو عبد الله محمد بن عبد الستار 949هـ، وأبو عبد الله محمد الزنديوي،[5] وجعل في التدريس فيها كذلك أبو العباس أحمد الغرناطي صاحب كتاب: "المشرق في علماء المغرب"[6].

وقد اتبع مؤسس هذه المدرسة طريقة لجلب عدد كبير من الدارسين إلى المدرسة الجديدة على حساب دور التعليم الأخرى، فقد وزع على جميع الحاضرين قرطاسين بذهب

---

[1]خير الدين شترة، المرجع نفسه، ص 680.

[2] علاوة عمارة، مرجع سابق، ص 119.

[3]خير الدين شترة، مرجع سابق، ص 680.

[4] محمد سوسي، مرجع سابق، ص136.

[5]خير الدين شترة، مرجع سابق، ص680.

[6]مريم بوعامر، مرجع سابق، ص 83.

وفضة، وأجرى على المدرس رزقا كثيرا قدره عشرة دنانير في الشهر[1]، حتى يحفزهم على التعليم وقد فتح نافذة من منزله الملاصقة للمدرسة حتى يسمع ما يدرس ويستفيد.[2]

ما يمكن استخلاصه عن هذه المدرسة أنها تميزت عن غيرها من المدارس الحفصية بأنها تعطى منحا لطلبة، في حين جعلت باقي المدارس التعليم مجانا فقط، ويتضح أن حرص المترددين على المدرسة المعرضية أكبر وذلك للاستفادة من المزايا المالية المقدمة لهم. وبالإضافة إلى ما ذكرناه عن هذه المدرسة المعرضية فإنها تمنح شهادات لخرجيها فانه كان يمكن للشيخ أن يمنح تلميذه رخصة خاصة أو عامة تعرف باسم الاجازة [3]من حيث طرق التدريس المتبعة في هذه المؤسسات التعليمية.[4]

ورابع المدارس هي المدرسة العنقية "عنق الجمل" 1342م:

ان المعلومات حول هذه المدرسة قليلة مقارنة مع باقي المدارس، غير ان الدور الذي قامت به لا يقل أهمية عن غيرها.

أسست هذه المدرسة الأميرة أخت أبي يحي أبي بكر، أطلق عليها اسم مدرسة عنق الجمل أو المدرسة العنقية، وقد انتهى بناؤها سنة 1341-1342م وهي توجد في نهج عنق الجمل الحالي في المدينة العتيقة.[5]

---

[1]روبار بر نشفيك، مرجع سابق، ج1، ص 377.

[2]جميلة مبطي المسعودي، مرجع سابق، ص 209.

[3]الاجازة: عند المحدثين هي الاذن في الرواية لقطا أو كتابة، وكانت لا تمنح الا لمن يدرس علم الحديث ثم صارت تمنح في كل العلوم والفنون، وهي تعتبر شهادة كفاءة أو تأهيل بواسطتها يستحق الطالب المجاز لقب الشيخ أو الأستاذ في العلوم المجاز لها.. للمزيد ينظر: شاوش محمد بن رمضان، باقة السوسان ص 405.

[4]عبد الرحمن حسين العزاوي، مرجع سابق، ص 155.

[5]روبار بر نشفيك، مرجع سابق، ج1، ص 386.

وطلبت الأميرة فاطمة من أخيها السلطان أبي بكر زكريا أن يختار الأستاذ عبد السلام ليكون مدرسا ومدير لشؤون المدرسة، فأسعفها وكان لها ما طلبت فأسعفها وكان القاضي من قبل يدرس بالمدرسة الشماعية،[1] كما أنه كان مدير الشؤون المدرسة وقد تعلم على يده علماء أجلاء من أمثال عبد الرحمن[2] بن خلدون ومحمد بن عرفة.[3]

ومما لا شك فيه أن مدرسة عنق الجمل قد تخرج منها نخبة العلماء، غير أن المصادر التاريخية سكتت عن هذه المدرسة ولم تذكرها، وربما يعود ذلك لأن المدرسة غير معروفة ومشهورة مثل غيرها من المدارس كالشماعية والتوفيقية، واللتان كانتا من المدارس الأولى في عهد الدولة الحفصية، وكانت لهما عناية خاصة من قبل المؤرخين.

أما بخصوص المدرسة الخامسة وهي مدرسة ابن تافراجين 1364م:

عرفت بعض مدارس مدينة تونس تأثيرات مشرقية أتت عن طريق مصر، من ذلك مثلا مدرسة ابن تافراجين[4] التي دفن فيها مؤسسها اذ عاش الحاجب ابن تافراجين مدة من الزمن بمصر في أواسط القرن 8هـ/14م، وجلب معه هذا النوع من التأثيرات التي لم تعرفها البلاد التونسية من قبل والمتمثلة في دفن المؤسس بمدرسته أو مسجده[5]، وهذا ما أدى إلى ظهور المدارس الأضرحة المقتبس من المشرق.

---

[1] السعيد بحري، الشعر في الدولة الحفصية، شهادة ماجستير في الأدب العربي القديم، جامعة منثوري قسنطينة، 2007/2006، ص 35.

[2] محمد سويسي، مرجع سابق، ص 136.

[3] السعيد بحري، مرجع سابق، ص 35.

[4] ابن تافراجين: هو الوزير الحاجب أبو محمد عبد الله بن تافراجين كان من ذوي الجاه والنفوذ في عصر الدولة الحفصية، تولى الحجابة للسلطان أبي بكر بن أبي زكريا الحفصي في سنة 744هـ ثم ولى الوزارة لابنه أبي إسحاق إبراهيم في سنة 751هـ وتوفي سنة 766هـ.. للمزيد ينظر السيد كمال أبو مصطفى جوانب حضارية ص121.

[5] محمد الناجي بن مامي، مرجع سابق، ص 225.

قام ابن تاف راجين بتشييد مدرسة حملت اسمه وهي "المدرسة التافراجينية" وقام بحبس حمام على المدرسة وخصص عائده لصيانتها ودفع رواتب من يعمل بها[1]، كما أن المدرسة تقع قرب قنطرة ابن ساكن داخل باب السويقة بتونس، إضافة إلى تخصيص حمام ووقفه على المدرسة يعرف بحمام القائد بن الحكيم.[2]

ومن ناحية أخرى قام الحاجب ابن تافراجين بدور مهم في الاهتمام بالعلم وتشجيع طلابه عن طريق الأوقاف العديدة التي أوقفها على مدرسته بتونس، والتي كانت مقصدا للطلاب والعلماء على سواء.[3]

وبخصوص تاريخ وفاة صاحب المدرسة فقد ذكر ابن الشماع أنه نزل بابن تافراجين ما نزل بالناس من الطاعون وتوفي في ربيع الأول في سنة 766هـ ودفن بمدرسته الكائنة بقنطرة ابن ساكن، داخل باب السويقة، يذكر أن هذه المدرسة كائنة الان بنهج سيدي إبراهيم بتونس العاصمة.[4]

ومن خلال هذا يتضح لنا أنه وبفضل ابن تاف راجين دخلت بلاد المغرب عامة نوع جديدة من المدارس، لم تكن معروفة من قبل ولقد اقتف أثر ابن تاف راجين العديد من العلماء الذين أرادوا أن يصنعوا لأسمائهم تاريخا واثار لتشهد عليهم.

وبالوصول إلى الحديث عن المدرسة السادسة أو الأخيرة التي أنشئت في العهد الحفصي

[1] كمال السيد أبو مصطفى، دراسات مغربية وأندلسية في التاريخ والحضارة، مركز الإسكندرية للكتاب، د م ن، د ط، 2007، ص77.

[2] السيد كمال أبو مصطفى، جوانب حضارية من نوازل الونشريسي، مرجع سابق، ص 121.

[3] كمال أبو مصطفى، دراسات مغربية وأندلسية في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص77.

[4] ابن الشماع، مصدر سابق، ص 101.

وهي المدرسة المنتصرية (1437-1438):

أسسها السلطان محمد المنتصر بالله ابن أبي عبد الله محمد بن أبي فارس ومات قبل اتمامها في سنة 839هـ/1435م فأتمها أخوه السلطان أبو عمرو وعثمان سنة 841هـ/1437م [1]، وأغلب الظن أن المدرسة سميت بالمنتصرية نسبة إلى مؤسسها المتوفي محمد المنتصر.

وتوجد المدرسة المنتصرية حاليا قرب سوق النحاس بالعاصمة،[2] وكانت تحتوي على 366 بيتا ورتب بها السلطان دروسا وعين بها مدرسين[3]، فكانت مثل غيرها من المدارس توفر العلم لطلبة وتزخر بشتى أنواع الكتب والمؤلفات، ومن المعروف أن المدارس كانت توفر المبيت للوافدين أليها من الطلبة والعلماء.

لقد مثلت المؤسسات العلمية في العهد الحفصي من تعدد أنواع الخدمات المقدمة لطلبتها في ذلك العصر الوسيط ما تقدمه الجامعات والمعاهد في عصرنا الحالي وهذا ان دل انما يدل على درجة الرقي والتحضر التي وصلت اليها الحياة العلمية في ذلك العصر.

كما نجد أيضا تأثيرات مشرقية في هندسة بعض المدارس، وهي الشماعية والعنقية والمنتصرية المتمثلة في وجود ايوانين في كل من الشماعية والعنقية وثلاثة أواوين في المنتصرية[4]، ومما يذكر عن تلك المعالم العلمية أنه لم تبقى أية مدرسة من تلك المدارس الحفصية على حالتها القديمة إلى الان، والمدارس التي تمكنت من اجتياز القرون بسلام، وهي الشماعية واالتوفيقية والعنقية والمنتصرية، قد رممت بنائها وكمالها في العصور الحديثة.[5]

---

[1] ابن الشماع، مصدر سابق، ص 116.

[2] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 604.

[3] خير الدين شترة، مرجع سابق، ص 681.

[4] محمد الباجي بن مامي، مرجع سابق، ص 225.

[5] روبار بر نشفيك، مرجع سابق، ج1، ص 387

المكتبات الحفصية:

عرفت دولة بنى حفص بناء الكثير من المجد والابهة فقد اجتمع في بلادها الشعراء والعلماء والوفود وقد احتوت المؤسسات التعليمية على مكتبات ضخمة كانت عاملا مساعدا على النهوض بالمستوى الثقافي والعلمي ليس في المدن الرئيسية فحسب، بل أيضا في مدن الدواخل والمناطق النائية بالإضافة إلى المكتبات الخاصة التي كان يمتلكها بعض الأفراد وهناك مكتبات ملحقة بالزوايا والمساجد والمدارس.[1]

ومن أهم دور العلم المهمة في افريقية التونسية وان لم تعمر طويلا بيت الحكمة الذي أنشأه إبراهيم الثاني الأغلبي محاكاة لدار الحكمة التي أسسها ببغداد هارون الرشيد[2]، كما اشتهرت قصور بعض الأمراء بالمكتبات الكبيرة التي احتوت على عدد كثير من الكتب والمخطوطات ومن هذه المكتبات ذكر لنا التاريخ مكتبة القصبة التي أسسها السلطان أبو زكريا يحي سنة (627هـ/1229م)،[3] وهي تقع بعاصمة تونس مكتبة ضخمة لها بقايا مكتبات الأغالبة والصنهاجيين، وأضاف إلى ذلك كثيرا من الكتب والمؤلفات ويقال أنها كانت تحتوي ستة وثلاثين ألف مجلد وظل خلفاؤه يعنون بجمع الكتب لها، وظل الشيوخ والطلاب ينتفعون بكتبها طوال أيام الدولة الحفصية.[4]

كما خصصت بعض المكتبات أو الخزائن في كثير من مدن المغرب وحواضره خاصة في تونس وفاس فيذكر الزركشي بوجود خزانة كتب شهيرة بجامع الزيتونة بتونس أقامها السلطان أبي فارس عبد العزيز أحمد الحفصي لما تولى الحكم سنة796هـ[5]، وهي تعتبر من

---

[1] عبد الرحمن حسين العزاوي، مرجع سابق، ص 157.

[2] شوقي ضيف، مرجع سابق، ج9، ص172.

[3] عبد الرحمن حسين العزاوي، مرجع سابق، ص 156.

[4] شوقي ضيف، مرجع سابق، ج9، ص 174.

[5] كمال أبو مصطفى، جوانب حضارية من نوازل الونشريسي، مرجع سابق، ص 123.

أهم إنجازات السلطان حيث أقيمت المكتبة بالمجنبة الهلالية بجامع الزيتونة واشتملت على أمهات الكتب والدواوين حلبها من القصر السلطاني وأودعها المكتبة.[1]

ويذكر ابن الشماع بأن مؤسس المكتبة قد أوقفها على طلبة ينتفعون بها بالنظر والنسخ بشرط ألا يخرج منها شيء من المجنبة، خشية ضياعها وجعل لها قومه يقومون بها في نفضها، ومناولتها للطلبة، وردها لمكانها بعد الفراغ منها، ووقفا لها وقفا محدودا كل يوم وأوقف عليها وقفا مؤبدا تصرف فائدته للقومة بها يكفيهم وتصرف بقيتها في ضرورة الكتب وكان من فضائل السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أحمد الحفصي ملازمته لقراء العلم بمجلسه وتواضعه وجلوسه على الحصير حين قراءته للحديث النبوي.[2]

وكانت اخر المكتبات السلطانية التي أسسها السلطان أبو عبد الله محمد بن الحسن الحفصي سنة (905هـ/1499م) بالجامع نفسه بتونس وقد حملت اسمه "المكتبة العبدلية" وهي مازالت باقية إلى اليوم[3]، ونقلت اليها كتب أبي فارس وجعل لها وقتا محددا للاطلاع فيها ومناولين.[4]

كان لهذه المكتبات دور مهم في تطور الحركة العلمية والفكرية داخل الدولة الحفصية فقد مثلت هذه المكتبات لما احتوت عليه من مجلدات ومخطوطات في شتى العلوم السجل الحافظ والذاكرة الحية لمختلف العلوم وخاصة الدينية منها، لقد نشطت حركة التأليف والتدوين وقد أبدع الكتاب والمفكرين فألفوا الكتب العديدة التي أسهمت بدورها في التقدم الفكري والازدهار الثقافي في ربوع تلك الامارة، فقد ظهرت كتب عديدة في الدراسات الدينية وفي ميدان التراجم

[1] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 590.

[2] ابن الشماع، مصدر سابق، ص 110.

[3] عبد الرحمن حسين العزاوي، مرجع سابق، ص 156.

[4] شوقي ضيف، مرجع سابق، ج9، ص 174.

وتدوين الأخبار.. الخ،[1] كما أن التاريخ يحدثنا عن فخامة مكتبة الدولة الحفصية بما لم يعهد مثله يومئذ عند أي حكومة من الدولة المعاصرة بالمغرب ولا سيما في أوروبا فان عدد كتب المكتبة الحفصية بلغ ما لم تبلغ غيرها مقارنة مع مكتبة باريس كانت في بداية القرن 14م لا تزيد على بضع عشرات من الكتب ومثلها مكتبة أوكسفوردoxford من بلاد الإنكليز فإنها عندئذ عبارة عن صندوق واحد فيه بضع مجلدات مجعولة تحت رحمةرئيس رهبان كنيسة مريم.[2]

ومن خلال هذا يتضح لنا أن المكتبات لم تكن تقل أهمية عن الدور الفعال الذي كانت تقوم به كل من المساجد والمدارس، فجميع هذه المؤسسات العلمية اجتمعت على هدف واحد وهو العمل للخروج بدولة ذات ثقافة وحضارة تضاهي غيرها من الدول.

المبحث الرابع: المراكز الثقافية(تونس- بجاية- قسنطينة):

عندما نتحدث عن الحياة الفكرية نلاحظ أن هده الدولة ورثت قسطا مهما من العلم عن الدولة الموحدية وكذلك امتازت الدول الحفصية بمواقع ساعدتها على استقبال علماء المغرب والأندلس فكانت تونس وبجاية وقسنطينة أهم المراكز الثقافية.

تونس:

نستهل الحديث عن تونس الواقعة على الساحل فبعد تدمير قرطاجة قرر حسان بن النعمان بناء مدينة عربية تكون المنفذ الجديد لإفريقية على البحر المتوسط، وكانت قرية ترشيش القديمة المكان الذي اختاره لبناء مدينته الجديدة وكانت تبعد 12ميلا شرق قرطاجة.[3]

---

[1] عبد الرحمن حسين العزاوي، مرجع سابق، ص156.

[2] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج1، ط2، 1384هـ/ 1965م، ص471.

[3] سعدون نصر الله، مرجع سابق، ص 53.

وسميت تونس بهذا الاسم لان المسلمون لما فتحوا افريقية كانوا ينزلون بإزاء صومعة ترشيش ويتانسون براهب هناك فيقولون هذه الصومعة تونس فلزمها هذا الاسم.[1]

ويذكر أن لها خمسة أسماء ترشيش وتونس وتانس والحضراء والخضراء والدرجة العليا. وهذه الأسماء البسيطة تعبر عن دلالات ذات عمق تاريخي.

ويوجد بمدينة تونس جامع كبير في غاية الجمال عظيم الموارد وكثير المترددين عليه، وجوامع أخرى في المدينة قليلين الأهمية، وفيها عدة مدارس للطلبة وبعض الزوايا للمتنسكين وتكفي أوقاف هذه المؤسسات الدينية للإنفاق عليها لتستمر في القيام بوظائفها.[2]

وكنتيجة لسقوط بلدان العدوة الأندلسية الواحدة تلوى الأخرى استفاد الشمال الافريقي من الهجرة الواسعة التي قام بها اللاجئون المسلمون.[3]

واستغل الملوك الحفصيين هذا الظرف وشجعوا الهجرة وهذا ما أدى إلى توافد الكثير من العلماء خاصة بعد أن لاحظوا العناية والاستقرار ومن الذين شجعوا على ذلك أبو زكريا الحفصي وسار على منواله المستنصر الذي اعتبر تونس وارثة للحضارة الإسلامية خاصة بعد سقوط بغداد تحت ضربات المغول.[4]

والملاحظ أن الأندلسيين حملوا إلى تونس كل العلوم والفنون الموجودة في الأندلس فأصبحت تونس وارثة لعلومهم ومعارفهم.

ويبدو أن الجاليات الأندلسية قد تشكلت من نخبة من العلماء البارزين من بينهم أجداد المؤرخ بن خلدون صاحب العبر، وقد عرفت مدينة تونس بفضل هؤلاء ومن ساواهم من

---

[1] ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 11.

[2] ليون الافريقي، مصدر سابق، ج1، ص76.

[3] شاكر مصطفى، مرجع سابق، ج2، ص 1290.

[4] ابن الشماع، مصدر سابق، ص 5.

الأفارقة في القرنين السابع هجري والثالث عشر ميلادي والقرن الرابع عشر نهضة علمية شاملة جعلت منها اهم مركز ثقافي وتعليمي بالمغرب العربي.[1]

وعلى الرغم أن القرن التالي على وفاة المستنصر كان عهد فوضى واضطراب سياسي الأمر الذي شكل عائقا لمسيرة الحركة الحضارية الا أن افريقية انجبت في ذلك القرن نخبة من العلماء يعدون مفاخر الدولة مثل ابن عرفة الذي عرف بأنه فقيه المغرب الإسلامي وابن منظور صاحب معجم لسان العرب الذي يعتبر أكبر موسوعة في مادة اللغة العربية.[2]

ومما يدل على انتعاش الحركة الثقافية نجد أن هذه المدينة كانت مركز الاحتكاك للأفكار والمناقشات الفقهية والأدبية بتشجيع من الملوك والأثرياء والوزراء وكانت المشاحنات تقع بين الأدباء الأفارقة والأندلسيين المهاجرين مثلما كان بين أحمد الغساني وابن الابار المهاجر الأندلسي،[3] أو بين الأندلسيين مثل حازم القرطاجي وأبي المطرف بن عميرة أو تقع بين الأفارقة أنفسهم مثلما كانت تمتد بين ابن خلدون وبن عرفة.[4]

والملاحظ أن العلاقات الثقافية بين المرنيين والحفصيين لم تتأثر كثيرا بالأوضاع السياسية، فقد كان تنقل العلماء بين افريقية والمغرب الأقصى يتم في سهولة دون أن يعترض حركتهم في سبيل العلم معترض فابن مرزوق الخطيب بعد أن ذاقت به الأحوال في الدولة المرينية رحل إلى تونس في رمضان 765هـ/ 1364م، فلقي التقدير والاحترام من طرف رجالها.[5]

---

[1] محمد الناجي بن مامي، مرجع سابق، ص 223.

[2] ممدوح حسين شاكر مصطفى، الحروب الصليبية في شمال افريقية وأثرها الحضاري، دار عمار، عمان، الأردن، 1419هـ/ 1998م، ص 619.

[3] أحمد الطويلي، مرجع سابق، ص 11.

[4] المرجع نفسه، ص 11

[5] محمد عيسى الحريري، مرجع سابق، ص 242.

وكذلك ترك الأثر الاقتصادي المصري أثره الواضح على التأثيرات الثقافية في بلاد تونس حيث رحل علماء المغرب إلى مصر طلبا للعلم في الأزهر وخير مثال على ذلك أن ابن خلدون سافر إلى مصر وتولى القضاء بها، كما كان طلاب من تونس في هذا العهد يحضرون إلى الأزهر لدراسة الفقه المالكي والعودة إلى بلادهم لتدريسه في المساجد.[1]

وعليه يمكن أن نعتبر الحاضرة التونسية خير خلق لخير سلف فقد تمكنت من أن تضاهي الدولة الإسلامية في بغداد.

بجاية:

تعتبر هذه المدينة العاصمة الثانية لبني حفص وتحتل أهمية بالغة بعد تونس لأنها ثاني أهم مركز ثقافي وعمراني.

وبجاية مدينة على ساحل البحر بين افريقية والمغرب في الجزائر وأول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري سنة 457هـ وتسمى الناصرية أيضا باسمه.[2]

ولقد شهدت هذه المدينة هجرة أندلسية كبيرة من القرن 7هـ/13م إلى سقوط غرناطة 897هـ/ 1492م،[3] حيث توالت الهجرات عليها من اشبيلية[3] وبلنسية ومالقة ومرسية [4]وشاطبة

[1] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق، ج5، ص 95.

[2] أبو عبد الله العبدي، مصدر سابق، ص 82.

[3] السعيد بحري، مرجع سابق، ص 42.

[3] اشبيلية: حاضرة الاندلس تسمى في قديم الزمان حمص افتتحها المسلمون وهي قاعدة مالك بني عياد، ينظر: المراكشي المعجب، ص 18.

[4] مرسية: مدينة بالأندلس اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن الحكم بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن معاوية، ينظر: العبدري، الرحلة، ص63.

ويبدو أن الصبغة الدينية كانت غالبة على النشاط الثقافي في بجاية اذ قصدها كبار متصوفة العصر وفقهاءه.[1]

ومما لا شك فيه أن موقع مدينة بجاية ساعد على جذب الأنظار اليها، حيث اعتبرها الأندلسيون نقطة عبور نحو تونس وبلاد المشرق بالإضافة لكونها مركز اشعاع حضاري وقاعدة للحكم خلال فترة الموحدين والحفصيين.[2]

حيث أولى السلاطين الحفصيين اهتمام وعناية واضحة بمعرفة المستوى المعرفي والمقدرة العلمية لمتصوفة بجاية بالمناظرة والمحاورة مع فقهاء الحاضرة ولأجل ذلك بعث السلطان أبو زكريا للصوفي البجائي أبي العباس أحمد المتوسي 644هـ/1246م بالحضور إلى مجلسه وقد أبان عن تمكنه وتفوقه على فقهاء تونس.[3]

والملاحظ أن العناصر الأندلسية حظيت بمكانة رفيعة لدى أمير البلاط الحفصي ببجاية منذ عهد المستنصر بالله 1249-1277م كتولي الوزارة والحجابة.[4]

ولقد كانت لهذه الجماعات تأثيرات فعالة بحيث اكتسبت المدينة طابعا أندلسيا حتى عدت من حواضر الأندلس ولم يماثلها في ذلك ببلاد المغرب الأوسط سوى تلمسان عاصمة الدولة الزيانية التي تزامن، ومن خلال الكتابات المؤرخين فقد عرف علماء الأندلس ببجاية الحفصية بأنهم كانوا موسوعي الثقافة ومتنوعي الاختصاصات حيث اشتهروا بالتأليف في

[1] محمد جابر الأنصاري، التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق، بيروت، لبنان، ط2، 1992م، ص62.
[2] حنيفي هلايلي، أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموركسي، دار الهدى، الجزائر، د ط، 2010، ص 15.
[3] علاوة عمارة، مرجع سابق، ص 15.
[4] حنيفي هلايلي، مرجع سابق، ص 15.

مختلف العلوم والمعارف، وارتفعت مكانتهم في شتى أمور المجتمع البجائي دينيا وتعليميا حتى أصبحوا مثالا للقدوة نذكر منهم ابن محرز البلنسي 685هـ.[1]

واذا ما تحدثنا عن تأثيرات الأندلسيين في بجاية نجد أنها تمثلت في تطوير الثقافة العربية الإسلامية، وخاصة في تجديد طريقة الدراسة وتطوير أساليب تلقي المعلومات فتجاوزوا الطريقة المغربية التقليدية المعتمدة أساسا على تحفيظ القران ورواية الحديث إلى أساليب متطورة تولي أهمية خاصة للبحث والتفكير والمحاورة يهدف افهام الطالب وارساخ المعلومات في ذهنه.[2]

وكان التدريس يتم أغلبه في الزوايا والمساجد المحسوبة على متصوفة بجاية انشاء وتعليما وحتى تموينا كزاوية ومسجد أبي زكريا الزواوي ومسجد المرجاني وغيرهم.[3]

ومن العلماء المجددين في طريقة التدريس نذكر محمد بن إبراهيم الأبلي 757هـ/1356م الذي انتقد غياب الدافع الشخصي للدراسة والمبالغة في الحفظ.[4]

لقد ساهمت التأثيرات الأندلسية في تمكين بجاية من أن تتبوأ مكانة مرموقة في مجال الثقافة العربية الإسلامية فظلت لفترة تزيد عن ثلاثة قرون احدى منارات المعرفة ومراكز العلم ببلاد المغرب وجموع العلماء الذين انتشروا في البوادي.[5]

والملاحظ أن دور بجاية الثقافي بدأ يتراجع مع نهاية العهد الحفصي والزياني ق 8هـ/14م.

---

[1] نصر الدين سعودوني، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الأسري والوجود الأندلسي بالجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص 107.

[2] نصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 108.

[3] علاوة عمارة، مرجع سابق، ص 121.

[4] نصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 109.

[5] المرجع نفسه، ص 126.

كما كانت المناصب التي شغلها الأندلسيين مدعاة للطموح والتنافس بينهم لكسب أكبر قدر ممكن من النفوذ والجاه، الذي يضمن لهم الاستمرار فأحيانا يدخلون في تكتلات للحد من نفوذ النخبة المحلية أصيلة البلد، وأحيانا يلجؤون إلى الدسائس والوشايات لقطع الطريق أمام بعضهم، اذا بدأ نفوذ أحدهم يتجاوزهم لذا فقد شهد بعض أفراد هذه الجالية نهاية مأساوية كالقتل والتكيل.[1]

ان ارتقاء الأندلسيين للمناصب العليا في الدولة ومنافسهم عليها صرفهم عن الحياة العلمية والثقافية.

قسنطينة :

قسنطينة مدينة كبيرة من مشاهير بلاد افريقية بناها الرومان على جيل شاهق،[2] وضمت هذه المدينة في 1235م إلى ناحية بجاية التي كان على رأسها أبو يحي بن أبي زكريا وفي سنة 1525م انفصلت قسنطينة وأصبحت خاضعة لحكم رؤساء العشائر المستبدين وشيوخها من ال باديس الصنهاجيين وأل الفقون التميمين.[3]

ولقد جعل منها الحفصيون عاصمة ثقافية وسياسية لدولتهم وصارت عاصمة الشرق الجزائري تتفوق بنموها الاقتصادي والثقافي على بقية الحواضر الشرقية وخاصة مدينة ميلة[4]المجاورة لها وتفصلهما مسافة قليلة لا تعد عقبة أمام انتقال الطلاب للاستزادة من المعارف المنتشرة.[5]

---

[1]علاوة عمارة، مرجع سابق، ص 109.

[2] أبو عبد الله العبدري، مصدر سابق، ص 94.

[3]كمال غربي، مرجع سابق، ص 64.

[4]ميلة: من المناطق النوميدية في الشرق الجزائري تقع شمال غرب مدينة قسنطينة وتبعد عنها حوالي خمسين كلومتر ينظر عبد العزيز فيلالي مدينة ميلة في العصر الوسيط ص 9.

[5]عبد العزيز فيلالي وإبراهيم بحاز، مدينة ميلة في العصر الوسيط، دار البلاد، قسنطينة، د ط، د س ن، ص 51.

ويرجع نموها الاقتصادي لكونها معبرا للقوافل التجارية وكذلك كثرت انتشار الأسواق بها العامرة بالمنتوجات.

شهدت مدينة قسنطينة نهضة علمية وثقافية في عهد بني حفص لم تشهد لها من قبل مثيل، حيث انتشر بها التعليم بواسطة المدارس والجوامع بالإضافة إلى شيوخ المدينة ومعلميها والوافدين عليها من تونس وبجاية والأندلس وألفت بها أمهات الكتب في مختلف التخصصات من طرف بعض البيوت الخاصة التي حملت مشعل العلم من أمثال الحسن بن باديس.[1]

ونذكر من البيوت التي أضاءت مدينة قسنطينة أسرة الحسن بن الفقون[2] الذي توارث أفراد عائلته عنه العلم مدة تزيد عن سبعة قرون، كذلك ذاع صيت أسرة بن القنفد القسنطيني [3] التي تمتعت بسمعة علمية وتقلدت وظائف سامية في المخزن والقضاء.[4]

وعموما فقد التف أهل قسنطينة كغيرهم من أبناء حواضر المغرب حول جامع الزيتونة لمتابعة دروسهم والاستفادة من شيوخها وعلمائها، حتى أصبحت في تلك الفترة تضاهي مدينتي تونس وتلمسان وشغلت حيزا ثقافيا جعلها مركز اشعاع حضاري لعدة قرون.[5]

ومن المراكز العلمية الجديرة بالذكر أيضا جزيرة منورقة حيث أقام العالم الأديب سعيد بن حكم القرشي نظاما مرنا مهادنا للإسبان فكان بعض العلماء المهاجرين من الأندلس

---

[1] كمال غربي، مرجع سابق، ص 63.

[2] الفقون: هو العلامة أبو محمد الكريم بن عبد الكريم الفقون التميمي القسنطيني ينتسب إلى عائلة علمية يرجع أصلها إلى فقونة قرية في جبل الأوراس، ينظر: كمال غريبي المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة، ص 177.

[3] ابن القنفذ: هو المعروف بابن الخطيب من علماء القرن الثامن الهجري من علماء قسنطينة وتاريخه هو وفيات الأعيان ينظر: كمال غربي المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة ص 64.

[4] سعودي يمينة، الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية، شهادة ماجستير في الأدب الجزائري القديم، جامعة الأخوة منثوري، قسنطينة 2006/2005، ص 24.

[5] سعودي يمينة، المرجع نفسه، ص 23.

يقصدون بلاطه للإقامة، والملاحظ أن العلاقات العلمية كانت ناشطة بين منورقة وتونس فيلك الوقت بفضل علماء الأندلس خاصة.[1]

اذن يمكن القول أن المراكز الثقافية كانت في المدن البحرية كتونس وبجاية في قمة انتعاشها ولكن بدرجة أقل في قسنطينة.

واضافة إلى ذلك كانت تبرز بعض مدن الجنوب في عهد الرؤساء المحليين كما هو الشأن بالنسبة إلى بسكرة[2] وقابس وطرابلس[3].

[1]محمد جابر الأنصاري، مرجع سابق، ص 63.

[2]بسكرة: مدينة تأسست أيام حكم الرومان بلاد البربر وخربت وأعيد بناؤها لما دخلت الجيوش الإسلامية إلى افريقيا سكانها فقراء لان أرضها لا تنتج غير التمر ينظر: ليون الافريقي وصف افريقيا ج1، ص 138.

[3]روبار بر نشفيك، مرجع سابق، ج2، ص 375.

الفصل الثالث:

أصناف العلوم

وأشهر علمائها

- المبحث الأول : العلوم النقلية
- المبحث الثاني : العلوم العقلية

المبحث الأول: العلوم النقلية.

1/ علم القراءات و التفسير:

لقيت العلوم الدينية اهتماما كبيرا من طرف أهل المغرب عامة و من قبل الحفصيين خاصة، و تمسكوا بالعلوم النقلية لأجل الفهم الصحيح لما جاء في كتاب الله من ذكر حكيم و لذلك نجد مراكز علمية، اختصت بهذا الغرض و حملت على أكتافها تنشئة اجيال مثقفة دينيا و علميا.

و بمجرد أن أسست القيروان و تونس كان هناك مقرؤون كثيرون يقرئون الناشئة في الكتاتيب و ظلت قراءة الذكر الحكيم ناشطة في القيروان على مدار السنين، و اشتهرت بها أسر توارثتها جيلا بعد جيل، و يصور ذلك ما ذكره العبدرى في رحلته حين زار تونس في سنتي 688هـ/1290م و 691هـ/ 1292م و التقى بالرحالة التونسي أبي الحسن علي بن إبراهيم التجاني في مسجد اقرائه و مما قال له :"أنا الثاني عشر مدرسا من أبائي على نسق كلهم قعد واهنا "(أي في هذا المسجد) للإقراء، و هذا يعني أن بيت التجاني في تونس توارث الإقراء للقرآن طوال اثني عشر جيلا متعاقبين [1].

و من كبار القراء في العهد الحفصي نجد أبو القاسم اللبيدى معاصر التجاني صاحب الرحلة و كان الطلاب يقرؤون عليه بمسجد إقرائه كتاب التسيير في القراءات السبع للداني و أشهر القراء بعده محمد بن بدال المتوفي بمنتصف القرن الثامن الهجري و كان يدرس لطلابه قصيدة الشاطبي في القراءات : حرز الأماني و يفسر أبياتها لهم ، و لجمال ترتيله و حسن صوته كانت تشد إليه الرحال لسماعه و كان السامعون من حوله يرون بين خاشع و باك و داع .[2]

[1] شوقي ضيف، مرجع سابق ج9 ص 189

[2] المرجع نفسه، ص190

و من أبرز من عرف في القراءات أبو الحسن علي ابن الغني المقرئ الفهري المعروف بالحصري ، كان إماما في القراءات السبع قرأ على أبي بكر عتيق بن أحمد القصري عشر سنين ختم عليه فيها القراءات السبع تسعين ختمه و هو ابن عشر سنين إلى عشرين سنة ،و كان له معرفة بالأدب و الشعر ، ثم رحل إلى الأندلس عندما خربت القيروان .[1]

بالإضافة إلى أبو عثمان سعيد بن علي بن زاهر الأنصاري البلنسي (ت654هـ/1256م) عالم بالرواية و إمام في القراءات قدم بجاية و أقرأ بها و أخذ عنه الكثير من علمائها و ظل مواظبا على التدريس بجامعها حتى توفي، كذلك كان أبو العباس أحمد بن محمد الصدفي الشاطبي (ت674هـ/1275م) عالم بالروايات و القراءات قدم بجاية و أقرأ بجامعها و استقر بها حتى توفي له تأليف في رسم الخط و في بيان مذهب ورش[2].

كما برز الفقيه الكبير محمد بن عرفة الورغمي المتوفي في أوائل القرن التاسع الهجري و كان مقرئا كبيرا و مجودا عظيما للقرآن الكريم، و يكثر في ترجمة العلماء أن يقال عنهم إنهم مجيدون في قراءة القرآن[3]، و زيادة على ما ذكرناه فإنه ظهر عدد كبير من المقرئين مع نهاية العهد الحفصي من أمثال ما أنشأه أبو عمر و عثمان الحفصي (ت893هـ/1487م) من القراءة على الختمة بجامع الزيتونة، بالإضافة إلى ما أسسه أبو العباس أحمد بن بكر الحفصي (ت796هـ/1393م) من حزب السبع الذي يختم فيه القرآن كل يوم جمعة، وما رتبه أبو فارس عبد العزيز (ت837هـ/1433م) من حزب الترغيب و التهريب بعد صلاة العصر و رواية الصحيحين بين الظهرين، و قد أوقفت الأوقاف الواسعة من أجل العمل على استمرار هذه الأحزاب و القراءات و القيام بها بدون انقطاع[4].

[1] الأسيدي الدباغ، مصدر سابق، ج3، ص202

[2] ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص116

[3] شوقي ضيف، مرجع سابق، ج9، ص190

[4] عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص479

علم التفسير:

كما عرف علم التفسير اهتماما كبيرا لدى المغاربة و ظهر فيه مفسرون كبار احتذى الناس حذوهم في منهاج التفسير و التأليف.

و قد جاء في تعريف أصول التفسير بأنه مجموعة القواعد التي ينبغي أن يسير عليها المفسرون في فهم المعاني القرآنية، و تعرف العبر و الأحكام من الآيات[1].

لقد عرف التفسير بالغرب الإسلامي في القرن السابع الهجري امتدادا لما كان عليه الأمر في القرن السادس قبله و كذلك الاعتماد على مؤلفات المغاربة مثل ابن الجوزي و ابن عطية و ابن العربي و ابن الفرس و غيرهم، كما ظهر اعتمادا تفاسير مشرقية مثل تفسير الزمخشري و تفسير الفخر الرازي و الماوردي و قد حالت هذه التفاسير إلى حد ما دون رجوع المفسرين إلى المصادر الأولى للتفسير[2].

و من كبار المفسرين في أوائل عصر الدولة الحفصية نجد عبد العزيز بن محمد القرشي المعروف بابن بزيزة المتوفي سنة 662هـ/1263م و هو من كبار الفقهاء الحفاظ و له تفسير جمع فيه بين طريقة ابن عطية الأندلسي و طريقة الزمخشري و عليه تخرجت طائفة كبيرة من طلاب تونس في العلوم الدينية[3]، و قد أطلق ابن بزيزة على كتابة في التفسير اسم : "البيان و التحصيل المطلع على علوم التنزيل الجامع بين مقاصد الزمخشري ة ابن عطية في تفسيرهما المكمل بزيادات عن غيرهما" يوجد منه بخزانة القرويين بفاس المجلد السادس تحت رقم: 28 يبتدئ من آخر سورة القصص و ينتهي بنهاية سورة القتال[4].

---

[1] أنور محمود زناتي، مرجع سابق، ص28

[2] ابراهيم أحمد الوافي، التفسير و علوم القرآن بالغرب الاسلامي من القرن 2هـ إلى 8هـ، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، ، 1417هـ/1996م، ص49

[3] شوقي ضيف، مرجع سابق، ج9، ص191

[4] ابراهيم أحمد الوافي، مرجع سابق، ص54

أما فيما يتعلق بمفسري القرن الثامن الهجري نجد محمد بن عبد النور التونسي تلميذ ابن زيتون المتوفي سنة 726هـ/1326م وله اختصار تفسير الفخر الرازي و نلتقي في القرن التاسع الهجري بمفسر الأبي المتوفي سنة 827هـ/1323م تلميذ ابن عرفة، و له تفسير كبير للقرآن الكبير كان يقع في ثمان مجلدات[1]، كما كان المفسر ابن عصفور الأشبيلي (ت: 669هـ) له إيجاز البرهان في بيان اعجاز القرآن، التنبيه على ما زخرف من التمويه في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن[2].

ما يلاحظ من خلال ما ذكر إن علماء الغرب الاسلامي لم يختلفوا كثيرا عن علماء أمتهم في الأنحاء الأخرى فقد نهلوا من المدرسة المشرقية في مختلف العلوم و تتلمذوا على العديد من المشايخ. و ظل المد و الجزر العلمي قائما بين شرق الأمة الإسلامية و غربها و ظلت مراكز العلم تقصد[3].

ما يمكننا استنتاجه أن حركة التبادل العلمي بين المشرق و المغرب الإسلامي ساهمت إلى حد كبير في تقوية العزيمة لدى أهل المغرب للفهم الصحيح المعمق لما جاء في القرآن الكريم و بعث فيهم حب الاجتهاد من أجل تأليف تفاسير و الشروحات.

2/ علم الحديث:

كان أمراء الدولة الحفصية ينتهجون نفس منهج الموحدين في العمل على إفشاء العناية بالعلوم الدينية و قد أسسوا لتلك الغاية عدة مدارس، و لذلك عمل الحفصيون على تعميم قراءة القرآن و الحديث بالمساجد و رتبوا في ذلك أوقاتا منضبطة و أحزابا قارة يحضرها خلق كثير

[1] شوقي ضيف، مرجع سابق، ج9، ص191

[2] إبراهيم أحمد الوافي، مرجع سابق، ص56

[3] المرجع نفسه، ص66

من عامة الناس و يتلى فيها القرآن الكريم أناء الليل و أطراف النهار و تقرأ فيها المسانيد و تروى الأحاديث[1].

أما بخصوص تعريف علم الحديث فهو علم دراية الحديث و علم الاسناد و هو مجموعة القواعد العامة التي يعرف بها صحيح الحديث من سقيمه، و مقبوله من مردوده، و ذلك بمعرفة أحوال الحديث سندا و متنا، لفظا و معنى، و ما يتبع ذلك من كيفية تحمل الحديث و كتابته و أداب رواته و طالبيه[2].

كما شهدت دراسة الحديث ازدهارا بالغا في العهد الحفصي و برز في هذا المجال فحول من العلماء الحفاظ، منهم أبو بكر سيد الناس اليعمري[3]، فقد كان رواية حافظ للحديث عارفا برجاله و بأسمائهم و بتاريخ وفاتهم و مبلغ أعمارهم ، و أبوعبد الله محمد بن حيان الشاطبي (ت635هـ/1237م)و قد كان رواية مكثرا سماعا و تقييدا[4]، بالإضافة إلى أبو عبد الله محمد بن صالح الكناني الشاطبي (ت699هـ/1299م) من علماء الحديث و الرواية غادر مسقط رأسه شاطبة و التجأ إلى بجاية (645هـ) درس بها و خطب بجامعها، تعرف عليه العبدري عند مروره ببجاية و قرأ عليه الموطأ و الشمائل للترمذي و أعتبره آخر من بقى من علماء بجاية من حيث المحافظة على السند و الرواية[5].

---

[1] عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص478

[2] أنور محمود زناتي، مرجع سابق، ص28

[3] سيد الناس اليعمري: راوي و حافظ للحديث نشأ بإشبيلية و بها أخذ العلم عن بن خروف النحوي انتقل إلى بجاية و تولى الخطابة بجامعها الأعظم ثم انتقل إلى تونس و كانت له مكانة عند حاكمها المستنصر بالله و تولى بها تدريس الحديث...للزيد ينظر عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص478

[4] عبد المجيد النجار، المرجع نفسه، ص481

[5] ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص117

و قد اشتهر من الرواة للحديث الفقيه الشيخ أبو عبد الله محمد المهتار و هو راوي للحديث في جامع القصبة[1]، و أبو الحسن علي بن أحمد الأنصاري الأشبيلي المعروف بابن السراج، اشتهر بالزهد و استوطن بجاية و ظل مواظبا على التدريس حتى توفي بها، و رغم التجديد في طرق التدريس للعلوم فإن أساليب إسناد الأحاديث ظلت محافظة على منهجها القديم، فكان الأسلوب التقليدي هو المتبع في عرض الرواية و تصحيح السند و تخريج الحديث و مناقشة الآراء المتعلقة بالأحاديث المتصلة بالمسائل الفقهية، فقد جرت العادة أن يقوم أحد الطلبة بقراءة متن أحد الكتب و يتولى الأستاذ شرحه حسب غزارة علمه و سعة اطلاعه و الطلبة يقيدون شرح الأستاذ و أجوبته عن الأسئلة[2].

لقد كانت دراسة الحديث تجري على مناهج شامل ينحو منحى التوسع في المعاني و التعمق في البحث في كل ما يتعلق بالحديث المدروس من رجال و لغة و فقه و أخلاق[3]، و لقد تأثر علم الحديث كغيره من العلوم الأخرى بالهجرة الأندلسية إلى تونس فقد أضاف هؤلاء لهذا العلم لمساتهم إلى جانب اللمسة المغاربية التونسية، فعرف بذلك علم الحديث مزيجا في برامجه التعليمية بين ما هو تقليدي و ما هو مستحدث.

أما البرامج الدراسية القائمة على المتون و الشروح و التعليقات فقد اكتسبت هي الأخرى طابعا أندلسيا سواء في طريقة تأليفها أو الأساليب المتبعة في تدريسها، مع المحافظة على أمهات الكتب التقليدية و الاستمرار في تدريسها مثل مجامع الحديث و في مقدمتها كتاب الموطأ و مصنفات الفقه مثل مدونة الإمام سحنون و رسالة أبي زيد القيرواني[4].

[1] ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص301

[2] ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص109

[3] عبد المجيد النجار، المرجع نفسه، ص483

[4] ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص110

و قد تكاثر المحدثون في القيروان و تونس كثرة مفرطة أثناء العهد الحفصي، و من كبار المحدثين في القرن الثامن هجري منهم شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشى صاحب الأصل التونسي المولد و الموطن المتوفي سنة (740هـ/9 133م) و كان يقرئ تلاميذه في جامع الزيتونة الصحيحين: صحيح البخاري و صحيح مسلم[1].

3/ الفقه:

لقد أبدى المغاربة اهتماما كبيرا بدراسة العلوم الشرعية من قرآن و حديث و فقه منذ زمن بعيد و استمروا في ذلك إلى مشارف العصر الحديث. و الملاحظة أن الفقه حظي بعناية فائقة خاصة في العهد الحفصي.

و يمكن تعريف أصول الفقه بأنه علم يتعرف منه كيفية استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية. و موضوع علم أصول الفقه الأدلة الشرعية الكلية من حيث كيفية استنباط الاحكام الشرعية الفرعية منها. و مبادئه مأخوذة من العربية و بعض العلوم كعلم الكلام و التفسير[2].

وورد تعريف مصطلح فقيه بأنه من ألقاب العلماء يقع على المجتهد دون المقلد إذا صار الفقه له سجيه، أصل اللفظ منحوت من فقه بمعنى علم أو فطن، فغلب استعمالها في علم الشريعة و أصول الدين[3].

إن الفقه يدرس جميع المسائل التي تواجه الانسان في حياته فيبحث في الفرائض الدينية و الأحوال الشخصية و المعاملات الاجتماعية و الاقتصادية، أما أهم أصوله فهي القرآن الكريم

[1] شوقي ضيف، مرجع سابق، ص192

[2] أنور محمود زناتي، مرجع سابق، ص28

[3] مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416هـ/1996م، ص339

و السنة النبوية إضافة إلى الإجماع و القياس و قد اشتهرت عدة مذاهب في الفقه منها مذهب الامام مالك و هو المعتمد و المشهور ببلاد المغرب الاسلامي[1].

لقد أظهر الحفصيون تسامح كبير اتجاه المذهب المالكي و علم الفروع فقد أمروا بتدريسه إلى جانب كتب التوحيد لابن تومرت. كما وجدت العلوم الاسلامية بصفة خاصة في هذه الفترة ما يرعاها و ينميها بثقافة أندلسية جاء بها أهلها من العدوة المقابلة لبلاد المغرب و ثقافة مشرقية جلبها رجال الفكر من المغاربة الذين شدوا رحالهم إلى بلاد الشرق و تزودوا بمعارفه[2].

و من الملاحظ أن المذهب المالكي لم يكن المذهب الوحيد المنتشر في تلك الفترة في المغرب الاسلامي و افريقية خاصة.

حيث شهد ذلك العصر كغيره انتشار المذاهب السنية الأربعة حيث وجد الفقه الاباضي في جربة و من شيوخه أبي البقاء يعيش الجربي[3].

غير أن المذهب المالكي حقق الوحدة داخل المجتمع الحفصي بفضل ما قدمه رجال أمثال ابن عرفة من أعمال جليلة لإعلاء كلمة هذا المذهب و أخرجوه في شكل مبسط في متناول أكبر عدد من الناس[4]. و قد تميز أتباع مذهب الامام مالك برغبتهم في تحقيق التفوق على أصحاب المذاهب الأخرى و بخاصة الشيعة[5].

---

[1] معلاش مريم، الحياة العلمية ببجاية في ظل الدولة الحفصية خلال القرن السابع هجري، مذكرة ماستر، حضارة عربية

[2] عبد العزيز فيلالي، أبرز علماء قسنطينة و أثرهم في بلاد المغرب و الشرق خلال العهد الحفصي بين القرن 7 و 10هـ، مجلة جامعة قسنطينة، دار نوميديا، 1990، ص20

[3] رضوان البارودي، دراسات و بحوث في تاريخ و حضارة المغرب و الأندلس، مركز الاسكندرية للكتاب، د.م.ن.د.ط، 2007، ص151

[4] محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص61

[5] بشير رمضان التليسي، مرجع سابق، ص486

و نجد من كبار فقهاء المالكية في القرن السابع الهجري الحافظ الفقيه عبد العزيز القرشي المعروف بابن بزيزة المتوفي سنة 662هـ/1263م و على يده تخرجت طائفة كبيرة من طلاب تونس في العلوم الدينية[1].

و في أواخر القرن السابع وصل من القاهرة كتاب مختصر ابن الحاجب في الفقه المالكي و انشغل بشرحه علماء البلدان المغربية[2].

و حسب أراء بعض المؤرخين فإن العلوم النظرية كانت قاصرة على البلاد المشرقية و لا عناية الافريقيين إلا بتحقيق الفقه، و لم يزل كذلك إلى أن رجل الفقيه أبي القاسم بن أبي بكر الشهير بابن زيتون ت691هـ/1291م من تونس إلى المشرق و تتلمذ على يد كبار تلامذة فخر الدين الرازي ت606هـ/1210م و رجع إلى تونس حيث نشر المعارف التي تعلمها. و صورت الكتابة المالكية ابن زيتون كشيخ فقيه أصولي له الفضل الكبير في اعطاء دفع للإنتاج الفقهي المالكي[3].

و تجد في القرن الثامن محمد بن عبد السلام الهواري مجدد الحركة الفقهية و كان من أنبع تلاميذه ابن خلدون المؤرخ و كذلك المفسر محمد بن عبد النور التونسي ت726هـ/1326م تلميذا بن زيتون و له اختصار تفسير الفخر الرازي[4].

كما برز في هذا العصر بن عرفة ت803هـ/1401م الذي برع في العلوم الشرعية و شهد عصر بن قنفد فحول الفقهاء أمثال بن هارون و كانت شروح التونسيين فائقة حيث اعتنوا

[1] شوقي ضيف، مرجع سابق، ص191

[2] مرجع نفسه، ص196

[3] علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و الغرب الاسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 2008، ص189

[4] شوقي ضيف، مرجع سابق، ص191

بالخلاف و أضافوا إليه الطريقة المنطقية في الحدود و كانت بجانب هذه المدرسة مدرسة للرواة نبغ من بينها ابن الغماز[1].

و من المؤكد أن الكتب العقائدية التي تبحث في علم الفقه كان عددها قليل و لم يهتم بها إلا المفكرين المتحلين بنصيب وفير من الجرأة نذكر منهم بالنسبة إلى القرن الرابع عشر ابن راشد القفصي[2].

كذلك لعب الاندلسيون الوافدون على افريقية دورا بارزا في العلوم الشرعية فكان منهم الفقهاء و المحدثين و الحفاظ للقرآن الكريم نذكر منهم: أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن جيش اللخمي المولود بمرسية و المتوفي بين كثير من مدن الأندلس و المغرب هاجر إلى بجاية و منها انتقل إلى تونس وولي بها القضاء.

و أندلسي آخر هو أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز البلنسي الخزرجي ولد ببلنسية و توفي في بيته مجلسا للتحديث و الاقراء[3].

كما برز من الفقهاء المحدثين أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله الاشبيلي المعروف بابن سيد الناس ت بتونس سنة 659هـ/1261م أخذ عنه ابن خروف و ابن حيير و كان من جلساء الخليفة[4].

من غير شك أن فقدان الأندلسيين لبلادهم قد بعث فيهم ضرورة المحافظة و الحرص على أمور الدين الاسلامي.

---

[1] ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، محمد الشاذلي، الدار التونسية، د مك.دط، 1968، ص30

[2] روباربر نشفيك، مرجع سابق، ص394

[3] محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، الدار البيضاء، د مك ن، د ط، د س ن، ص40

[4] المرجع نفسه، ص41

و من الأندلسيين الذين نزلوا بجاية نذكر أبو الحسن علي النميري الشنتري الأندلسي ت668هـ/1269م عرف بمعارفه الفقهية و آرائه الصوفية و نزعته الفلسفية درس مدة ببجاية ثم غادرها إلى مصر حيث توفي بدمياط[1].

أبو عثمان سعيد بن علي بن زاهر الأنصاري البلنسي ت654هـ/1256م عالم بالرواية و امام في القراءات أخذ عنه الكثير من علمائها و ظل مواظبا على تدريس بجامع بجاية حتى توفي[2].

قسنطينة هي الأخرى عرفت عددا من الفقهاء من بيوتاتها العلمية منهم حسن بن علي بن حسن بن ميمون بن قنفذ القسنطيني ت750هـ/1349م كان فقهاء المالكية و محدثا تبوأ منزلة العلماء بالمدينة تعلم بقسنطينة ثم ببجاية و رحل إلى بلاد المشرق لطلب العلم و أداء فريضة الحج من مؤلفاته المسنون في أحكام الطاعون تحدث فيه عن هذا المرض و أحكامه الشرعية و الأحاديث الواردة فيه و له مصنف آخر معروف بالمسائل المسطرة في النوازل الفقهية[3].

و من الذين انتقلوا إلى الديار التونسية الشيخ أبو القاسم بن محمد بن أحمد الوشتاتي القسنطيني ت847هـ/1443م كان قاضيا بارعا و فقيها مالكيا نشأ بتونس و أخذ فيها علوم عصره عن جماعة من شيوخ الزيتونة منهم أبي مهدي عيسى الغبريني حتى أصبح من نبغاء عصره في الفقه و أصول الدين[4].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص114

[2] المرجع نفسه، ص116

[3] عبد العزيز فيلالي، أبرز علماء قسنطينة و أثرهم في بلاد المغرب و الشرق خلال العهد الحفصي ق7 و 10هـ مرجع سابق، ص26

[4] عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ص34 هـ

و تولى خطة قضاء الجماعة بتونس و امام جامع الزيتونة و الخطابة به و الافتاء كما اشتغل بالتدريس في مدرسة الشماعين و مات مقتولا بمحراب جامع الزيتونة وقت صلاة الصبح[1].

و ما يمكن ملاحظته أن الفقه وجد مجالا واسعا للتعبير في تلك المجموعات من الفتاوي التي اعتنى بها عدد كبير من العلماء الحفصيين[2].

4/ علم الأدب و فروعه:

عرفت الآداب و فروعها شعرا و نثرا و نحو وغير ذلك اهتماما كبيرا خاصة و أن السلاطين الحفصيين كان منهم من له ميل و مشاركة في هذا الجانب .

فقد أنتجت الدولة الحفصية نتاجا طيبا في مجال الأدب و الفنون فظهر الأدباء و الشعراء الذين ساهموا في إغناء و إثراء ذلك الموروث الثقافي، و بذلك نشطت حركة التأليف و التدوين و أبدع الكتاب و المفكرين فألفوا الكتب العديدة التي أسهمت بدورها في التقدم الفكري و الازدهار الثقافي في ربوع الدولة[3].

فقد ظهر مع بداية عهد الدولة عدد كبير من الأدباء منهم أبو محمد عبد الله بن نعيم الحضرمي القرطبي (ت: 636هـ/1239) نشأ بتونس من أسرة أندلسية كان عارفا بالرواية مطلعا على علم الأدب متفوقا في اللغة قدم بجاية و درس بها[4]، كما برز في تلك الفترة أبو العباس أحمد بن القاسم بن القصير الأشبيلي و هو المعروف بصلاته مع رجال البلاط الحفصي و بالخصوص مع الوزير ابن أبي الحسين العنيسى له في المستنصر و رجال دولته

[1] المرجع نفسه، ص35

[2] روبارير نشفيك، مرجع سابق، ج2، ص396

[3] عبد الرحمن حسين العزاوي، مرجع سابق، ص156

[4] ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص112

المدائح الكثيرة[1]، و أبو الحجاج يوسف بن محمد الياسي توفي 653هـ/1256م، و تعتبر مجموعة الحماسة أهم مجموعة أدبية في القطر التونسي و قد كتبها بتونس في سنة 646هـ/1248م، و منها مخطوطة في دار الكتب المصرية[2].

و من أبرز الشخصيات الأندلسية التي هاجرت إلى تونس و لعبت دورا كبيرا محمد بن أبي الحسين و هو من أسرة بني سعيد الغرناطية و كان الرجل كما ينعته ابن خلدون متقنا في العلوم مجيدا في اللغة يقرض الشعر فيحسن و يرسل فيجيدوا له تأليف في اللغة سماه "الخلاصة" اعتنى فيه بترتيب كتاب "المحكم" لابن سيده على نسق "الصحاح" للجوهري[3]، و كان يعاصره عالم لغوي من علماء القرن 7هـ أحمد بن يوسف اللبلى الأندلسي المتوفي بتونس سنة 691هـ/1292م و له كتاب الفصيح لتغلب الشرح سماه: "تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح"[4].

كما برز كذلك أبو اسحاق إبراهيم الحصري المتوفي سنة 412هـ/1421م باسم "زهرة الآداب و ثمر الألباب" "و جمع الجواهر في الملح و النوادر"، كان بارعا في الشعر و النثر، و قد ولد بقرية[5] تسمى الحصر بجوار القيروان فنسب إليها، و هو أستاذ علمين من أعلام الأدب في القيروان.

بالإضافة إلى أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد شهاب الدين الخلوف (ت899هـ/1494م) شاعر و أديب و ناثر، أصل عائلته من فاس ولد بمدينة قسنطينة سنة (829هـ/1425م) سافر و هو صبي إلى مكة و ظل هناك أربع سنوات ثم انتقل إلى بيت

[1] محمد رزوق، مرجع سابق، ص36

[2] شوقي ضيف، مرجع سابق، ج9، ص186

[3] محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص211

[4] شوقي ضيف، مرجع سابق، ج9، ص182

[5] المرجع نفسه، ص185

المقدس و حفظ القرآن بها و مختلف علوم العصر و فنونه و آدابه، ثم اتجه إلى القاهرة حيث أخذ النحو و الصرف و المنطق على الشيخ العز عبد السلام البغدادي و ممن تعلم منه اللغة العربية و آدابها في بلاد المغرب الشيخ أحمد السلاوي عمل بديعية ميمية سماها مواهب البديع[1].

كما ألف في أواخر العصر الحفصي الراهب الفرانسيسكاني انسالم تورميدا حيث أعلن اسلامه في مدينة تونس في نهاية القرن 8هـ/14م ألف كتابا باللغة العربية دافع فيه الإسلام و فند أراء المسيحيين في هذا الدين و سماه "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب"[2].

كذلك نبغ بتونس في القرن 9هـ/15م شاعران أندلسيان و هما محمد الخير الذي قدم من مالقه و منافسه أحمد بن محمد الخلوف[3].

لقد ساهم هؤلاء جميعا بالنهوض بالحركة العلمية و عودة نشاطها، خاصة بمدينة تونس عاصمة الدولة، كما أمدها المهاجرون من الأندلس من كبار العلماء و الأدباء بوقود أدبي و علمي و جزل لتزداد اشتعالا و ضياءا[4].

شهد الأدب ازدهارا واسعا فقد عرفت فروعه المختلفة كالبلاغة و النحو و الشعر و الصرف اهتماما من قبل الباحثين في هذا المجال خاصة و أن الظروف ساعدتهم في تكوين رصيد معرفي، في تأليفهم لمصنفات تحفظ لهم أعمالهم و مجهوداتهم الفكرية من الضياع و الزوال.

[1] عبد العزيز فيلالي، أبرز علماء قسنطينة و أثرهم في بلاد المغرب، مرجع سابق، ص32

[2] رضوان البارودي، مرجع سابق، ص226

[3] محمد رزوق، مرجع سابق، ص36

[4] شوقي ضيف، مرجع سابق، ج9، ص184

النحو:

علم النحو يعد من فروع اللغة العربية و قد ذهب إبن خلدون إلى القول إن السبب في ظهوره هو فساد اللغة لاختلاط العرب بغيرهم من الأقوام بعد الفتح الاسلامي، و مخالطة العرب للعجم مما أدى إلى تغير ملكتهم اللغوية و قد تصدى لتقويم اللغة العربية ووضع منهاج لها بعض العلماء العرب، كان أولهم أبو الأسود ظالم بن عمر و الدؤلي ثم نصرين عاصم و عبد الرحمن ابن هرمز فوضعوا للنحو أبوابا و أصلوا له أصولا[1]. هذا فيما يخص علم النحو في المغرب عامة.

أما فيما يتعلق بالعهد الحفصي فقد ظهر في بجاية النحوي ابن معطي الزواوي (ت628هـ/1231م) صاحب الألفية في النحو و مؤلف الفصول و العقود و القوانين و حاشيته على أصول ابن السراج و شروح لكتاب الجمل للزجاجي و غيرها[2]، إضافة إلى أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي الكلبي الأندلسي (ت633هـ/1235م) عالم في النحو يعتبر من كبار اللغويين استوطن بجاية و علم بها قبل أن يتحول إلى المشرق[3].

كما ظهر أبي الحسن علي محمد بن شعيب الأشولي كان نحويا لغويا أدبيا حافظا و من أدبه قوله في الحث على طلب العلم قوله:

إن العلوم لأشخاص معينة فلا يراهن إلا لب من درسا.

من شرد النوم و الظلماء عاكفة فكيف يضاهيه الذي نعسا[4].

[1] بشير رمضان التليسي، مرجع سابق، ص472

[2] ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص124

[3] المرجع نفسه، ص121

[4] محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، الشركة الوطنية، الجزائر، د ط، 1983، ص205

كذلك ظهر أبو الحسن حازم القرطاجي المولود سنة 608هـ/1211م و المتوفي سنة 684هـ/1285م صاحب المقصورة و الميمية النحوية و كتاب القوافي و منهاج البلغاء و سراج الأدباء، و أبو الحسن علي بن مؤمن الحضرمي المعروف بابن عصفور و هو إشبيلي ولد سنة 597هـ/1201م و توفي بتونس 669هـ/1270م و من تأليفه "المغرب و الممتع في الاشتقاق و المغرب في النحو"[1]، و هو من صفوة من هاجر الأندلس إلى تونس و قد رحب به مؤسس الدولة الحفصية أبو زكريا و اتخذه أستاذا و معالما لابنه وولى عهد المستنصر، و أسند إليه التدريس في جامع الزيتونة و في مدرسة الشماعية، و كان يدرس للطلاب كتاب سيبويه و كتاب الجمل للزجاجي و الإيضاح لأبي علي الفارسي و له عليها شرحان، كما يدرس مصنفيه البديعين[2]: المقرب في الصناعة النحوية و الممتع في الصناعة الصرفية، و قد أنشأ في تونس مدرسة مميزة بانتماء عدد الأدباء و العلماء إليه لما أحدثته طريقة بن عصفور المنفردة بالدراسة التحليلية[3]، و يعتبر ابن عصفور من أشهر النحويين استوطن بجاية و درس بها و كان من خاصة السلطان الحفصي المستنصر قبل أن يأمر بقتله[4].

كما يمكن إضافة ابن مالك صاحب "الألفية في نظم قواعد النحو إلى نحوي هذه الحقبة و إن كان قد عمر بعدها توفي سنة 672هـ و يلاحظ أن الجهود النحوية كانت منصبة على الشرح و تبسيط القواعد و نشرها[5].

اهتم المغاربة بصفة عامة بعلم النحو فعكفوا على دراسته و دراسة الكتب التي تم تأليفها فيه، و ظهر عدد من العلماء الذين نبغوا في علم النحو من مدن كثيرة في بلاد المغرب، و قد انعكس ذلك على كثرة المؤلفات في النحو و في غيره من العلوم، لأن المؤلفات تحتاج إلى ملكة

[1] محمد رزوق، مرجع سابق، ص35

[2] شوقي ضيف، مرجع سابق، ج9، ص184

[3] السعيد بحري، مرجع سابق، ص38

[4] ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص121

[5] محمد جابر الأنصاري، مرجع سابق، ص58

النحو ليستقيم المعنى و تتصل الفكرة، و هكذا كانت جهود المغاربة في علم النحو خالصة لذات اللغة العربية ومساهمة في توجيه الثقافة العربية التي يعتبر النحو أحد ركائزها[1].

و من الجدير بالملاحظة أن الذين برزوا في علم النحو في الدولة الحفصية هم النحويين الذين جاؤوا من الأندلس و قد تركز أغلبهم في بجاية لأنها تمثل مركزا علما و ثقافيا في تلك الفترة.

[1] بشير رمضان التليسي، مرجع سابق، ص476

المبحث الثاني: العلوم العقلية.

1/ الرياضيات:

يمكننا أن نعتبر علم الرياضيات و الحساب من العلوم القديمة التي عرفها العرب المسلمين في عصر صدر الإسلام، لأنه كان من إخصاص عمال الخراج و الجباية، كما أن الفراعنة القدامى قد برعوا في مجال الحساب و الهندسة و خير دليل على ذلك الدقة المتناهية في بنائهم للأهرامات.

لذلك يعتبر علم الرياضيات من أهم العلوم التي طورها العرب بعدما نقلوا قواعدها عن الإغريق و الهنود، فقد استوعب العرب المسلمون نظام الأعداد الهندي و أوصله إلى أوروبا، و أضاف اليعقوبي رمزا حسابيا جديدا هو الصفر الذي يعد من أخطر المبادئ التي اهتدى إليها العقل البشري في الرياضيات[1].

فقد كان لدى الهنود أشكال عديدة للأرقام، هذب علماء المسلمين بعضها و كونوا منها سلسلتين عرفت أحدهما بالأرقام الهندية (١،٢،٣،٤،٥...) و هي المستعملة حاليا في أغلب البلاد العربية و عرفت الثانية باسم الأرقام الغبارية بسبب أن أهل الهند كانوا يأخذون غبارا لطيفا و يبسطونه على لوح من الخشب أو غيره و يرسمون عليه الأرقام التي يحتاجون إليها، و قد انتشر هذا النوع من الأرقام في بلاد المغرب و الأندلس و انتقل منها إلى أوروبا حيث عرفت بالأرقام العربية[2].

لقد ركدت الحياة العلمية بصفة عامة في بداية العهد الحفصي بإفريقية و قابل ذلك ازدهار العلوم بكل من الأندلس و المغرب، و بدأت الأنشطة الرياضية تظهر من جديد بإفريقية

[1] معلاش مريم، مرجع سابق، ص77

[2] أحمد عبد الرازق أحمد، الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى (العلوم العقلية)، دار الفكر العربي، القاهرة، ، 1411هـ/1991م، ص53

خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر انطلاقا من مدينة بجاية[1]، حيث تزامن ذلك مع بداية بواكير الهجرة الأندلسية إلى تونس التي أصبحت مركز الحكم و نقطة الاشعاع الثقافي على افريقية في بداية القرن الرابع عشر الميلادي، ومن الأكيد أن التأثير الرياضي للأندلس على تونس كان مهما في هذه الفترة التاريخية و كأحسن دليل على هذا التأثير هو تداول كتب رياضية لعلماء أندلسيين بين المدرسين للرياضيات و الدارسين لها بمدينة تونس و من أهمها كتاب الحصار[2].

لقد كان لأصحاب الهجرة الأندلسية فضل كبير على أهل البلاد التونسية في مجال العلم فقد ذكر ابن خلدون في هذا الصدد في مقدمته بأنه "...من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الاسلامية أكثرهم العجم لا من العلوم الشرعية و لا من العلوم العقلية إلا في القليل النادر، و إن كان منهم العربي في نسبته فهو أعجمي في لغته و مرباه و مشيخته..."[3]

أما بخصوص تعريف ابن خلدون لعلم الرياضيات و الحساب فقد قال فيه: "و من فروع علم العدد صناعة الحساب و هي صناعة علمية في حساب الأعداد بالضم و التفريق، فالضم يكون في الأعداد بالأفراد و هو الجمع، و بالتضعيف تضاعف عددا بآحاد عدد آخر و هذا هو الضرب و التفريق أيضا يكون في الأعداد إما بالإفراد مثل إزالة عدد و من عدد و صرفه الباقي و هو الطرح أو تفصيل عدد بأجزاء متساوية تكون عدتها محصلة و هو القسمة..."[4] عرفت الدولة الحفصية دخول أعداد هائلة من اللاجئين إليها كانوا أصحاب علم و معرفة بالحساب.

---

[1]حميدة بن عمر هادفي، مساهمة رياضي الأندلس في المادة العلمية بإفريقية خلال القرون الوسطى، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1996، ص74

[2]المرجع نفسه، ص75

[3]عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، د د ن، د ط، د س ن، ص483

[4]المصدر نفسه، ص409

ما يمكن ملاحظته في النصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادي هو فرار أبي عبد الله القرطبي 640هـ/1242م من المأمون بن المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن (624_629هـ) بعد أن هجاه و لجوئه إلى تونس حيث خدم سلطانها أبا زكريا عبد الواحد (625_647هـ) و كان أية في الحساب و الفرائض[1]، حيث كان في تلك الفترة تعدد في الاختصاصات فمثلا الفقيه الشيخ أبو الحسن علي كرباطة كان مدرس بالمدرسة الشماعية و عنده ملكة في علم الحساب و الفرائض و مختص بعلم الهيئة و الهندسة[2].

لقد برز في مجال الرياضيات في عهد الدولة الحفصية عدة شخصيات و من بينهم نذكر: محمد بن أحمد بن عثمان الوانوغي التونسي في الجبر و الفرائض و المنطلق (19هـ/1416م)[3].

و من علماء بجاية برز أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر المنصور القلعي من قلعة بني حماد كان له علم الفقه و الفرائض علما و عملا، و كان له علم الحساب سبقه فيه الأوائل[4].

بالإضافة إلى أبو الحسن علي بن محمد بن محمد القلصادي القرشي له 13 مؤلفا في الرياضيات (ت891هـ/1486م) الذي يعد أهم رياضي أندلسي انتقل إلى تونس في هذه الفترة و من بين ما ألف في تونس مثل كتاب كشف الجلباب من علم الحساب و كتابه الكليات في الفرائض و قد كان آخر من تقدم بهذا العلم بالغرب الاسلامي في العصر الوسيط[5]، لذلك يعد القلصادي (1412م/815هـ/891هـ/1486م) الذي يمكن نعته بالأندلسي التونسي، من أهم

[1] حميدة بن عمر هادفي، مرجع سابق، ص74

[2] ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص301

[3] شاكر مصطفى، مرجع سابق، ص1264

[4] مريم معلاش، مرجع سابق، ص78

[5] محمد رزوق، مرجع سابق، ص38

العلماء الذين ساهموا في إرساء علاقة علمية رياضية بين الأندلس و إفريقية، فقد درس القلصادي في غرناطة و عند ذهابه إلى الحج توقف طويلا في تونس و أخذ عن علمائها من ناحية و درس بها من ناحية ثانية إثر عودته في رحلته هذه استقر بغرناطة للتدريس و لكنه بارحها في آخر حياته إلى تونس و توفي بباجة التونسية و امتاز القلصادي بغزارة انتاجه الرياضي و ساهم في إعطاء لمحة كاملة و مفصلة عن المعارف الرياضية و خاصة في الحساب و الجبر و الفرائض المتداولة في عصره، و لقد انتشرت مؤلفات القلصادي بمختلف المدارس بتونس و اعتمدت في التدريس و أصبحت مرجعا أساسيا[1].

يمكننا القول أن القلصادي أصبح رائد لعلم الرياضيات بتونس و معلم لمدارسها في تلك الفترة.

من خلال هذا الحديث يتضح لنا أن الفضل يرجع إلى العلماء المسلمين في استخدام الرموز في الأعمال الرياضية و سبقوا بذلك علماء الغرب الأوروبي أمثال فيتا و ستيفن و ديكارت في هذا المجال و يعد أبو الحسن القلصادي أول من استخدم الحرف الأول من كلمة جذر (ج) التي صار يرمز إليها حاليا بالشكل (√) و للمجهول بالحرف الأول من كلمة شيء (ش) الذي حور فيما بعد إلى (س) و استخدم كذلك للنسبة ثلاث نقاط (∴) أصبحت الآن (:)، لقد ساعدت هذه الرموز على تقدم العلوم الرياضية تقدما هائلا، و يكفي علماء الجبر من المسلمين فخرا أن فيتا الذي يعد واضع مبدأ استعمال الرموز في علم الجبر قد اطلع على كتاب "كشف الأسرار عن علم الغبار" للقلصادي بعد ترجمته إلى اللاتينية[2].

نستنتج في الأخير بأن فضل علم الرياضيات يرجع إلى أصل أندلسي و أخذ الأوروبيين هذا العلم و قاموا بتطويره و اشتهر منهم الكثير على أساس أنهم أصحاب العلم و المعرفة في

[1] حميدة بن عمر هادفي، مرجع سابق، ص76

[2] أحمد عبد الرازق، مرجع سابق، ص58

مجال الحساب و الرياضيات، و أنكرت جهود العرب و المسلمين في هذا المجال التي كانت تعد القاعدة الأساسية لهذا العلم.

2/ الطب و أشهر علمائه:

عرفت بلاد المغرب عدة أمراض و أوبئة، فكان الناس يلجؤون إلى التداوي بالأعشاب و الرقية و غيرها من العادات المتوارثة عن أسلافهم، فنجد في ذلك الزمان قلما يقصد المريض الطبيب لأجل التداوي، و قد عمل المسلمين في التداوي من الأمراض التي تصيبهم بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الشفاء في ثلاث: شربة عسل و شرطة محجم و كية نار، و أنا أنهى أمتي عن الكي".

أما بخصوص صناعة الطب فإنها كانت كما يقول الغبريني أشد الصنائع ضياعا ذلك لأنه يتعر ضها الغث و السمين و لا يقع بينهما التمييز إلا عند القليل من الناس،[1] و قد عرف ابن خلدون علم الطب بقوله: "...صناعة الطب و هي صناعة تنظر في بدن الانسان من حيث يمرض و يصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة و برء المرض بالأدوية و الأغذية بعد ان يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن و أسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها..."[2]

و عند الحديث عن مكانة الطب فإنه لم يكن له رواج معتبر بالمغرب، ذلك لأنه انتهج أولياء أسلوب العلاج بالرقى بصفتها علاجا شرعيا، يقوم أساسا على الدعاء و آيات و سورة من القرآن، و لم تستعمل الرقية كدواء روحاني لعلاج الجن فقط، فإنما هي مخصوصة أيضا لعلاج العديد من الأمراض التي عانى منها أفراد المجتمع أنداك، و لعلاج الأمراض الوبائية و

[1] عبد الرحمن الجيلالي، مرجع سابق، ج1، ص470

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة، مصدر سابق، ص419

المزمنة أيضا[1]، هذا فيما يتعلق بالطب في المغرب عامة أما فيما يخص العهد الحفصي فإن صناعة الطب عرفت تأثيرات خارجية كان لها فضل في ازدهاره و تطوره، حيث شهدت الدولة الحفصية في بداية عهدها هجرات أندلسية إليها، فكانت لتلك الهجرة إسهامات شملت جميع المجالات و بخاصة مجال الطب.

فقد كان من بين الأندلسيين المهاجرين إلى تونس بعض الأطباء الذين لعبوا دورا هاما في تكوين نخبة من الأطباء، إلا أن المصادر لم تورد إلا أسماء البعض منهم، و يبدوا أن أغلبهم[2] عالجوا السلاطين و الأمراء، و الطب علم يتوارث أبا عن جد مثال بذلك الحكيم أبو اسحاق ابراهيم بن الشيخ الحكيم أبي الظفر غالب بن الحكيم عبد الله بن محمد غالب ألفي المتوفي سنة 654هـ/1256م[3]، و قد نزل عدد من الأطباء في المغرب و أشهر هؤلاء ابن البيطار المالقى (ت646هـ/1248م) أحد أحذق علماء النبات في العصر الوسيط الذي نزل بجاية مؤقتا بحثا عن الأعشاب الطبيعية التي ذكر عدد منها في كتاب له، و يؤكد أن بعض هذه الأعشاب لم يكن معروفا إلا في بجاية[4].

كما قصد بجاية في تلك الفترة الطبيب أبو العباس أحمد بن خالد من أهل مالقة (ت660هـ/1261م) قرأ على شيوخ بلده الفقه و العربية و الطب و الحكمة[5]، إضافة إلى أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي (ت691هـ/1292م) له معارف بمسائل الفقه و اطلاع على العلوم الطبيعية و تفوق في الطب حتى أعتبر من أشهر الأطباء في عهده[6].

---

[1]علاوة عمارة، مغرب أوسطيات، مرجع سابق، ص164

[2]محمد الباجي بن مامي، مرجع سابق، ص223

[3]المرجع نفسه، ص223

[4]علاوة عمارة، مغرب أوسطيات، مرجع سابق، ص108

[5]محمد طمار، مرجع سابق، ص205

[6]ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص122

كان يلمع من حين لآخر عالم في مجال الطب لحاجة الناس و البيمارستانات[1]، إليه نضرب مثلا لهم عبد السلام بن إبراهيم الزيات الصقلي المتوفي سنة 722هـ/1323م و قد ألف ابنه المتوفي سنة 820هـ/1417م للسلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز، مختصرا في الطب و نضرب مثلا آخر هو أحمد الخميري من أطباء تونس في القرن العاشر هجري و له كتاب في الطب و الأطباء يسمى تحفة القادم[2].

يذكر لنا التاريخ أشهر أطباء العاصمة الحفصية في القرنين الرابع عشر و الخامس عشر كانوا ينتمون إلى عائلة الأشراف الصقليين، و مدينة القيروان لم تكن خالية في القرن الخامس عشر من الأطباء المحترفين[3]، و بالإضافة إلى هؤلاء فقد برزت شخصية موسوعية في تلك الفترة ألا و هي عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري ولد في رجب 844هـ/ديسمبر 1440م حيث تميز بكونه درس الفقه و الأدب و الطب و اشتغل بالتجارة و التأليف، و كان يجتمع بالفقهاء و العلماء و لاسيما رجال الطب[4].

إلى جانب هؤلاء الأطباء ظهرت شخصية أندلسية تصدرت مجال الطب في تونس و كان لها اهتماما و عناية خاصة من الأمراء و السلاطين الحفصين، و ذاع صيتها في كامل أرجاء المغرب الاسلامي.

أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي المعروف بابن أندراس (674هـ/1373م) تولى الطب ببجاية و انتقل إلى حاضرة تونس باستدعاء أمير المؤمنين المستنصر[5]، و أنجب

---

[1]البيمارستانات: مفرد البيمارستان كلمة فارسية مركبة من "بيمار" بمعنى مريض و "ستان" بمعنى مكان أو محل و تقابل كلمة مستشفى للمزيد ينظر أنور محمود زناتي معجم المصطلحات، ص73

[2]شوقي ضيف، مرجع سابق، ج9، ص178

[3]روبار برنشفيك، مرجع سابق، ج2، ص386

[4]زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، د مك ن، د ط، 1401هـ/1981، ص171

[5]محمد رزوق، مرجع سابق، ص37

ابن أندراس ابنه يعقوب يوسف بن محمد بن أندراس المتوفي سنة 729هـ/1329م و قد درس الطب بمنزله فقد أخذ العلم عن أبيه أبو القاسم بن محمد بن أحمد بن محمد الأموي[1].

و ما يذكر عن هذا الطبيب بأنه كان ماهرا في علمه باحثا مجيدا تصدر لإقراء العربية و الطب ببجاية و كانت دروسه و مجالسه العلمية حافلة بأذكياء الطلبة و أعيان العلماء و يجري فيها الأبحاث الدقيقة ما يعز وجوده في بطون الكتب، و كان ابن أندراس هذا على رأس الأطباء المختصين بقصر الامارة في بجاية و بها وضع أرجوزته في الأدوية[2]. و علاوة على حذقه في الطب كان متميزا في العربية[3].

و بهذا كان أكثر الأطباء الذين باشروا مهنتهم بتونس أصيلوا الأندلس أو صقلية[4] مما لاشك فيه أن الأطباء في المغرب أخذوا عن غيرهم و تعلموا منهم الكثير فقد استطاع أطباء بلاد المغرب التحكم في وقف نزيف الدم و الجروح برش المساحيق المعقمة التي استخلصوها من بعض النباتات التي لها خاصية وقف النزيف[5]، لم تشهد العلوم الطبية تقدما محسوسا و مهما كان مستوى الضعيف الذي بلغه الطب العربي في العصر الحفصي فالجدير بالملاحظة أن أوروبا لم تتجاوز آنذاك حيث نلاحظ أن الملك شارل دانجو الأول قد اقتنى في سنة 1278م من سلطان تونس نسخة من كتاب الرازي (الحاوي في الطب) و كلف عالما يهوديا بنقله إلى اللغة اللاتينية، و إن هذا الدليل على أن افريقية مازالت تواصل في ميدان نقل التفكير الطبي (العربي) إلى الغرب المسيحي[6].

---

[1] محمد الباجي بن مامي، مرجع سابق، ص223

[2] عبد الرحمان الجيلاني، مرجع سابق، ج1، ص470

[3] محمد الطمار، مرجع سابق، ص205

[4] محمد الباجي بن مامي، مرجع سابق، ص223

[5] بشير رمضان التليسي، مرجع سابق، ص496

[6] زوبار برنشفيك، مرجع سابق، ج2، ص388

3/ علم التاريخ:

مما لاشك فيه أن كل الحضارات و الدول السابقة اهتمت بتسجيل و تدوين أحداثها إما لأهداف سياسية أو تاريخية و الدولة الحفصية كذلك سارت على هذا الدرب.

فقد ظهر عدد المؤرخين و الكتاب الذين اهتموا برواية الأخبار و تدوين الأحداث و بفضل ما قاموا بتسجيله من معلومات استطاع اللاحقون من الأجيال أن يتعرفوا على وقائع في هذه المنطقة في تلك العصور و منذ ميلاد الامارة الحفصية عمل أمرائها على استقطاب الكتاب و تشجيعهم على تدوين أحداث و إنجازات الامارة و من ثم ظهر في ذلك العهد ما يسمى بالتاريخ الرسمي[1].

حيث نشطت حركة التأليف التاريخي من خلال توظيف كتاب أندلسيين مهتمين بالكتابة التاريخية كإبن الأبارت 656هـ/1258م و ابن سعيد الأندلسي ت685هـ/1286م[2].

و في أيام السلطان أبو زكريا يحي ت647هـ/1249م ألف الكتاب الأندلسي البياسي أبو الحجاج يوسف بن محمد الأنصاري ت633هـ/1256م كتاب الحماسة و كتاب الأعلم و جمع السلطان أحاديث المصطفى و نبه على الصحيح منها و السقيم و كتب له كذلك كتابا تحدث فيه عن الحروب الداخلية في بلاد الإسلام إلى عهد هارون الرشيد[3].

و ذكرت المصادر من مؤرخي هذه الفترة غرناطيا آخر و هو أبو العباس أحمد بن عبد الله القرشي الشريف الغرناطي ت692هـ/1293م بتونس من تأليفه كتاب المشرق في علماء المغرب و المشرق و استفاد أهل بجاية منه عند مروره عليهم[4].

---

[1] عبد الرحمان حسين العزاوي، مرجع سابق، ص158

[2] علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و الغرب الاسلامي، مرجع سابق، ص141

[3] ابن الشماع، مصدر سابق، ص7

[4] المصدر نفسه، ص10

أما التنوخي عبد الله بن محمد بن عبد البر ت737ه/1336م ألف كتابا في التاريخ رتب مادته بحسب المنهج الحولي في ستة أجزاء[1].

تجدر الاشارة إلى أن المؤرخين الأوائل في العهد الحفصي كانوا في أغلبهم من المسلمين الأندلسيين الوافدين على الدولة.

و حسب المراجع فإن الكتابات التاريخية التي توصل إليها الباحثين حول الحفصيين ترجع إلى فترة متأخرة مقارنة مع بداية دولتهم مثل كتاب الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن قنفذ القسنطيني ت1407م و كتاب الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية لأبي عبد الله محمد بن الشماع ت833ه/1429م، و يعتبر كتاب تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية للزركشي ت1489م من الكتابات التاريخية المعبرة عن الايدولوجية الحفصية[2].

كذلك كان أبو زكريا يحي بن خلدون ت780ه/1378م من أبناء تونس المتفوقين في الأدب و التاريخ و شغل مناصب سياسية في البلاط الحفصي. و التحق بالدولة المرينية و ظل في خدمتها على عهد أبي عنان[3]. و بعد ذلك انتقل إلى خدمة السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني بتلمسان حيث قتل في رمضان 780ه و كان التأليف الوحيد الذي تركه بغية الرواد في تاريخ الملوك من بني عبد الواد[4].

[1]عبد الرحمان حسين العزاوي، مرجع سابق، ص159

[2]علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر، مرجع سابق، ص141

[3]ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص121

[4]محمد رزوق، مرجع سابق، ص55

ابن الآبار: ت658هـ/1260م.

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الآبار ت658هـ/1260م. و كلمة الآبار تعني صانع الابر و الابرة هي مسلة الحديد، ولد في مدينة بلنسية بشرق الأندلس سنة 595هـ و درس على والده و علماء المدينة[1].

كان من مشيخة أهل بلنسية و علامة في الحديث و لسان العرب و بليغا في الترسيل و الشعر[2] هاجر مع أسرته إلى تونس حيث عينه السلطان أبو زكريا كاتبا للرسائل[3].

و كتب في عدة فنون إلا أنه برز في التاريخ و التراجم بصورة خاصة، و كتبه الباقية في هذا الفن تشهد بقدرة فائقة منها معدن اللجين في مراثي الحسين ألفه نتيجة للعاطفة الجياشة التي كان يشعر بها نحو آل البيت[4].

و حسب الروايات غضب عليه السلطان فترك ابن الآبار تونس و استقر في مدينة بجاية حيث كتب كتابه أعتاب الكتاب و رفعه إلى السلطان أبي زكريا مستشفعا بولي عهده المستنصر بالله فعفى عنه السلطان[5].

و في عهد المستنصر عاد ابن الآبار إلى كبريائه و علم السلطان أنه كان يزري عليه في مجالسه فانتهز أعدائه هذه الفرصة فنسبوا إليه أبيات يهجوا فيها الخليفة فغضب منه و أمر بقتله و حرقه سنة 658هـ/1260م بتونس[6].

---

[1] أحمد مختار العبادي، مرجع سابق، ص358

[2] المقري، مصدر سابق، ص569

[3] فؤاد صالح السيد، معجم الألقاب و الأسماء المستعارة في التاريخ، دار العلم للملايين، لبنان، 1990، ص22

[4] ابن الشماع، مصدر سابق، ص8

[5] أحمد مختار العبادي، مرجع سابق، ص358

[6] المرجع نفسه، ص359

مؤلفاته:

ترك ابن الآبار عدة مؤلفات نذكر منها: كتاب التكملة لكتاب الصلة أي تكملة لصلة ابن بشكوال. و كتاب تحفة القادم، و له في التراجم كتاب المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي[1].

و الصدفي هو أبو علي الحسين بن محمد السرقسطي الأندلسي و كان قاضيا و محدثا كبيرا و توفي سنة 514هـ[2].

و لعل أهم مؤلف له هو الحلة السيراء حيث يعتبر أعمق كتبه في فهم شخصيته الحقيقية و الكتاب و إن كان أدبيا خالصا يحتوي على شعر أهدي للأمراء و الوزراء إلا أنه احتوى على تراجم لعدد كبير من الشخصيات التاريخية في المغرب و الأندلس من القرن الأول إلى منتصف القرن السابع الهجري[3].

و يقصد بالحلة السيراء أي الثوب المخطط كناية عما يتضمنه من أدب و شعر و تاريخ[4].

و مما تقدم إلى القول أن ابن الآبار يعتبر مؤرخ للعلم بالمغرب و الأندلس لا يمكن الاستغناء عنه في تاريخ القرن السابع الهجري.

ابن خلدون: ت808هـ/1406م

ولد أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون بتونس في أول رمضان سنة 732هـ/ماي 1332م و هو من أسرة أندلسية[5]، تلقى العلم على يد أبيه و على جماعة من علماء تونس تبحر في

[1] فؤاد صالح السيد، مرجع سابق، ص22

[2] أحمد مختار العبادي، مرجع سابق، ص359

[3] ابن الشماع، مصدر سابق، ص9

[4] أحمد مختار العبادي، مرجع سابق، ص360

[5] ابن الشماع، مصدر سابق، ص11

علوم اللغة والدين حفظ القرآن و الحديث ثم توسع في علوم المنطق و الفلسفة[1].

و نذكر من الشيوخ الذين درس عليهم أبي العباس أحمد بن البطوي أخذ عنه الفقه المالكي و القراءات السبع، و لازم شيخ المحدثين أبي عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي و أخذ علوم العربية و الشعر عن أبي العباس أحمد بن القصار[2].

و عندما أصبح في سن الثامنة عشر تقلد وظيفة سامية في بلاط الحفصي و نتيجة للاضطرابات السياسية التي كانت تعصف بالمنطقة انتقل إلى السلطان المريني و أقام في فاس سنة 755هـ[3].

لقد كان ابن خلدون علامة عصره ينوغه في شتى المعارف و العلوم و لعل هذا يرجع إلى تأثره بالبيئة التي يعيش فيها.

و تتجلى أصالته و تجديده في علم التاريخ في كتابه الضخم العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر في منهجيته العلمية و عقليته الناقدة و الواعية حيث إنه يستقرئ الأحداث التاريخية بطريقة عقلية علمية[4].

و تناول كتاب العبر أخبار العرب و دولتهم منذ بدء الخليقة إلى عصره و خصص الجزأين الأخيرين منه عن العهد الحفصي و تعتبر كتاباته في هذه الفترة الوثيقة الأساسية المعتمدة في دراسة التاريخ الداخلي للدولة الحفصية[5].

---

[1]يحي محمد نبهان، معجم مصطلحات التاريخ، دار يافا، الاردن، 2008، ص51

[2]علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر، مرجع سابق، ص191

[3]محمد بن أحمد بن شقرون، مظاهر الثقافة المغربية، د.د.ن، د.مك ن، د ط، 1985، ص193

[4]أنور محمود زناتي، مصادر تاريخ المغرب و الاندلس، دار سحر، د مك ن، 2008، ص50

[5]ابن الشماع، مصدر سابق، ص11

أما المقدمة فشهرتها لا تخفى و هي التي خلدت ذكر صاحبها على مر الأزمان و هي التي برهنت على غزارة علمه و قوة ادراكه و بذلك كانت له الزعامة الفكرية في عصره إذ أنه جاء بجديد في ميدان العلم و المعرفة، و التمس علما جديدا سمي فيما بعد بعلم الاجتماع[1].

و تحدث في المقدمة عن طريق كتابة التاريخ و أسباب تقلب الدول و المظاهر التي يشتمل عليها التاريخ و مهمة المؤرخ و العوامل الطبيعية في تكوين الأمم و العوامل الاجتماعية في نشوء الدول و العوامل العارضة في المجتمع الانساني و المؤسسات الاجتماعية في البدو و الحضر، و قد ترجمت المقدمة إلى معظم لغات العالم و أصبحت من المراجع الأساسية للعلوم الاجتماعية[2].

حيث يذكر أحدهم أن أوغست كونت العالم الفرنسي الذي عاش في القرن 18م استمد من مقدمة ابن خلدون كثيرا من آرائه و نظرياته[3].

و كانت القاهرة من الدول التي قصدها ابن خلدون حيث تولى فيها وظيفة القضاء حتى وفاته سنة 808هـ/1406م[4].

ابن قنفد : 810هـ/1407م.

هو أحمد بن حسن الخطيب القسنطيني الشهير ابن الخطيب و ابن قنفذ ولد حوالي عام 740هـ/1340م بقسنطينة و نشأ بها و درس دراسته الأولى على شيوخها و شيوخ تونس و بجاية و تلمسان[5].

---

[1]محمد بن أحمد بن شقرون، مرجع سابق، ص52

[2]يحي محمد نبهان، مرجع سابق، ص52

[3]موسى عبد اللاوي، الحضارة الاسلامية و آثارها على المدينة الغربية، دار العلوم، عنابة، د ط، 2008، ص161

[4]يحي محمد نبهان، مرجع سابق، ص51

[5]محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ج1، 1996، ص9

بدأ دراسته على يد والده، لكنه توفي و ترك ابنه في العاشرة من عمره فكفله جده من أمه صاحب زاوية ملارة التي تبعد مسافة يومين غرب مدينة قسنطينة، فتأثر بجده كثيرا و بعض الشيوخ مثل العالم الفقيه حسن بن خلق بن باديس ت784هـ/1382م[1].

انتقل إلى المغرب الأقصى سنة 759هـ/1357م للاستزادة في طلب العلم من علماء القرويين و مكث بهذا البلد حوالي ثماني عشرة سنة فزار خلالها مراكش و سلا و استقر بفاس و أخذ من علمائها ثم عاد إلى مسقط رأسه سنة 1384م[2].

لقد كانت القرويين في ذلك العهد مقصدا لطلاب العلم من كل جهات المغرب الاسلامي أمثال ابن قنفذ و ابن خلدون.

و كان ابن قنفذ متصلا اتصالا وثيقا بفرع الدولة الحفصية المنتصب بقسنطينة و هذا الاتصال بين عائلة علمية و عائلة حاكمة مكن ابن القنفذ من مناصب القضاء و الافتاء و الخطابة داخل الدولة إلى أن توفي سنة 810هـ/1407م[3].

مؤلفاته:

و الملاحظة أن ابن قنفذ تناول في كتاباته موضوعات وطنية و ليست عامة و هناك أعمال كثيرة ألفها في التاريخ و التراجم و الرحلات و الأنساب و الظاهر أنه لم يؤلف الفارسية طمعا في مال أو خطوة و لكن ألفه لأسباب أخرى فالسلطان أبي فارس كان من مواليد قسنطينة فكانت هذه الحقيقة كافية إلى إهداء كتابه إلى السلطان[4].

[1]محمد قويسم، ابن قنفذ القسنطيني و منهجه في كتابة التاريخ، حولية جامعة قالمة، العدد السابع، 2013، ص234

[2]عبد العزيز فيلالي، أبرز علماء قسنطينة و أثرهم في بلاد المغرب، مرجع سابق، ص26

[3]ابن الشماع، مصدر سابق، ص11

[4]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830_1500، دار الغرب الاسلامي، د مك ن،ج1،د ط، د س ن، ص63

و ألف هذا العالم ما يزيد عن ثلاثين كتابا في التاريخ و الفقه و المنطق و الفلك و الحساب و الحديث و الأدب. كما قام بشرح المنظومة المسماة الوفيات و تتضمن تراجم قصيرة للعلماء خاصة المحدثين منهم مرتبة على حسب القرون و على تاريخ وفياتهم و له كتاب تسهيل المطالب في تعديل الكواكب في الفلك و في المنطق أنوار السعادة في أصول العبادة[1].

أما عن مؤلفه أنس الفقير و عز الحقير فقد ألفه تلبية لطلب أصدقائه في مدينة قسنطينة من أتباع الطريقة المدنية أبي مدين سنة 787هـ/1385م بالكتابة لهم عن حياة أبي مدين و كتابه تحفة الوارد في اختصاص الشرف من قبل الوالد عالج فيه قضية النسب الشريف في بلاد المغرب بعد سقوط الدولة الموحدية[2].

من خلال النظر إلى مؤلفات ابن قنفذ القسنطيني يمكن اعتباره موسوعة علمية في مختلف الشعب العلمية و الفقهية فقد زاحم بثقافته الواسعة و علمه الغزير المختصين في علومهم و فنونهم[3].

4/ الرحلات و الجغرافيا:

عرفت الدولة الحفصية انتشار الرحلات بكل أنواعها سواء تجارية أو علمية و كذلك من أجل أداء مناسك الحج حيث اعتبرت تونس همزة الوصل بين المغرب الأوسط و المشرق الاسلامي.

الرحلات:

إلى جانب الازدهار الفكري في مجال تدوين الأخبار و الأحداث التاريخية ظهرت كتب الرحلات الجغرافية التي قام بها بعض المفكرين الحفصيين مثل رحلة التجاني التي قام بها عبد

[1]عبد العزيز فيلالي، أبرز علماء قسنطينة و أثرهم في بلاد المغرب، مرجع سابق، ص28

[2]محمد قويسم، ابن قنفذ القسنطيني و منهجه في كتابة التاريخ، مرجع سابق، ص237

[3]عبد العزيز فيلالي، أبرز علماء قسنطينة و أثرهم في بلاد المغرب، مرجع سابق، ص28

الله بن محمد ت708هـ/1308م و التي تضمنت معلومات جغرافية مهمة في المسالك و الممالك و ماحوته من أخبار تاريخية عن الدول التي زارها و صارت رحلته من أهم المصادر لكل من الجغرافية و التاريخ و الآثار و العادات الاجتماعية[1].

و طبيعي ان تكون الرحلات و الأسفار من أول السبل لطلب العلم في تلك العصور فقد كانت الكتب نادرة و كان رجال العلم ينتقلون في طلبه من إقليم لآخر يدرسون على مشاهير الأساتذة و يجالسون أعلام الفقهاء و اللغويين[2].

مع بداية القرن الثاني عشر شهد المغرب الاسلامي ظهور نوع أدبي يتمثل في أدب الرحلة و كانت روايات الرحالة تخضع للتقاليد المشرقية لأنهم يتجهون إلى الأراضي المقدسة للحج و الاستزادة في العلم على يد علماء حواضر كبرى مثل القاهرة و دمشق[3].

العبدري:

لقد اتخذت الرحلة شكلا جديدا في النصف الأول من القرن الثالث عشر بفضل العبدري و هو مغاربي الأصل يجهل تاريخ مولده ووفاته[4].

و اسمه الكامل هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود العبدري و المعلوم أنه قام برحلته في الخامس و العشرين من ذي القعدة عام ثمانية و ثمانين و ست مئة عاش في مدينة حاحة و حفظ القرآن صغيرا و انتقل إلى مراكش التي كانت مركزا علميا و أخذ عن علمائها أمثال محمد بن علي بن يحي الشريف[5].

---

[1] عبد الرحمان حسين العزاوي، مرجع سابق، ص160

[2] زكي محمد حسن، مرجع سابق، ص8

[3] السيد عبد العزيز سالم، بحوث مشرقية و مغربية في التاريخ و الحضارة الاسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، د مك ن، ج1، 1997، ص428

[4] علي عبد الله الرفاع، رواد علم الجغرافيا في الحضارة الاسلامية، مكتبة التوبة، د مك ن، ط2، 1993، ص192

[5] العبدري، مصدر سابق، ص7

لقد كان وراء رحلة العبدري سببان دفعاه على المضي فيها سبب ديني للقيام بفريضة الحج و الاتصال بالصالحين و السبب الثاني رغبته في لقاء العلماء و المشايخ و الأخذ عنهم و استمرت الرحلة أكثر من سنتين[1]. حيث زار تلمسان و تعرف على فقهائها و علمائها و انتقل إلى بجاية و تونس حيث أجرى مناقشات مع علمائها و أبدى اعجابه بأهلها حيث أكرموه و رحل إلى القيروان وصلى بمسجدها الجامع و زار القاهرة و قال أنها دار العلم[2].

و تميز العبدري عن غيره بتقديم وصف متكامل عن كل مدينة حل بها من حيث معاملة الأهالي للعلماء و أبدى ارتياحه للمدن الصغيرة، و كذلك اهتم بالعلم الأثرية و العلوم الشرعية و اللغوية و يتضح ذلك في كتابه الرحلة المغربية لذلك يعتبره بعض المؤرخين ضمن أدباء الحضارة العربية الاسلامية[3].

و يمكن القول ان هذه الرحلة تفيد علماء الجغرافية و التاريخ في دراسة الظواهر التي كانت سائدة آنذاك كما تفيد مؤرخي الأدب في التاريخ الأدبي للأقطار التي مر بها العبدري فهي تضم نصوصا أدبية شعرية و نثرية و نقدية[4].

ابن جابر الوادي أشي 673_749هـ/1274_1348م:

من أصل تونسي و مالكي المذهب و يلقب بشمس الدين و يكنى أبي عبد الله تلقى تعليمه على يد علماء تونس و من ضمنهم والده الذي كان شيخا و توفي ابن جابر بمرض الطاعون الذي ضرب تونس في ربيع الاول و قام برحلتين فكانت رحلته الأولى سنة 720هـ و

[1] العبدري، المصدر نفسه، ص10

[2] السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص433

[3] علي عبد الله الرفاع، مرجع سابق، ص193

[4] العبدري، مصدرسابق، ص18

الثانية سنة 734هـ و حرص خلالها على السماع و الرواية حتى أصبح العديد من الطلبة يتلقون العلم عنه[1].

و الملاحظة أن رحلات ابن جابر لم تكن قاصرة على المشرق بل شملت المغرب و الأندلس، و ترك لنا عدة مؤلفات نذكر منها: الإنشادات البلدانية و زاد المسافر و الترجمة العياضية[2].

الجغرافيا:

حظي علم الجغرافيا كغيره من العلوم بعناية واسعة في هذا العهد و يمكن اجمال الأسباب التي أدت إلى الاهتمام به إلى ارتباط الجغرافيا بعلم الفلك من أجل معرفة مواعيد الصلاة و الصيام و الحج و كذلك انتشار ظاهرة الرحلة للتجارة أو الحج و مما شجع على ذلك شيوع الأمن و الاستقرار بين دول المغرب[3].

و قد برز العهد الحفصي عدة جغرافيين نذكر منهم محمد بن يوسف المعروف الجغرافي بالوراق الجغرافي القيرواني الذي دون للحكم المستنصر بالله كتابا في مسالك افريقية و ممالكها[4].

و المتمثلة في: ابن سعيد 610_685هـ/1213_1286م. اسمه الكامل نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن سعيد الغرناطي[5].

[1] عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية و الأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، دط، 1996، ص119

[2] المرجع نفسه، ص120_121

[3] بشير رمضان التليسي، مرجع سابق، ص477

[4] المرجع نفسه، ص478

[5] ابن الشماع، مصدر سابق، ص10

ولد في قلعة يحصب من أعمال غرناطة كان والده عالما تقيا مولعا بمطالعة الكتب و حكمت أسرته قلعة يحصب في القرنين السادس و السابع[1].

تلقى العلم على يد عدد من علماء الادب و النحو و تعود على الرحلات في سن مبكرة اختار مع والده تونس ملجأ أول لهما بعد مغادرتهما الأندلس، و دخلا في خدمة أميرها الحفصي أبي زكريا 647هـ و تولى ابن سعيد قراءة المظالم و في هذه الإقامة التونسية الأولى جمع كثيرا من المواد العلمية و بلغ نشاطه العلمي ذروته باجتماعه مع ابن الآبار الذي يعتبر من كبار مصنفي القرن السابع الهجري في المغرب[2].

و في سنة 638هـ/1240م قرر هو و أبوه السفر لأداء فريضة الحج و زار أنحاء العراق و دمشق و في طريقه مر على حمص بحثا عن الخزائن العلمية. توفي والده في طريق العودة بالإسكندرية سنة 1242م وواصل سيره فعاد إلى تونس و أقام بها في عهد المستنصر الحفصي[3].

و مما لاشك فيه أن سنوات إقامته بتونس كانت بالنسبة له فترة استراحة و مراجعة للمادة المجمعة حيث صنف كتابه الغصون اليانعة. و قد تضاربت الآراء حول تاريخ و مكان وفاته فقد أوردت المصادر المغربية مثل ابن الشماع أنه توفي بتونس سنة 685هـ/1286م أما المؤرخين المشارقة دهبوا إلى القول ان ابن سعيد توفي سنة 673هـ في دمشق[4].

[1]أنور محمود زناتي، مصادر تاريخ المغرب، مرجع سابق، ص62

[2]محمد جابر الأنصاري، مرجع سابق، ص91_92

[3]أنور محمود زناتي، مصادر تاريخ المغرب، مرجع سابق، ص62

[4]محمد جابر الأنصاري، مرجع سابق، ص105

و نذكر من المؤلفات التي تركها هذا الرحالة الجغرافي، النفحة المسكية في الرحلة المكية و اختصار القدح المعلي في التاريخ المحلي و المغرب في حلى المغرب و المشرق في حلى المشرق[1].

ليون الافريقي ت962هـ/1554م:

هو الحسن بن محمد الوزان ينتسب إلى قبيلة بني زيات الزناتية الواقع موطنها في أقصى غرب بلاد غمارة من سلسلة جبال الريف المغربية ولد بمدينة غرناطة قبيل سقوطها في يد الاسبان و المرجح أنه ولد حوالي 888هـ/1483م انتقل مع أسرته إلى فاس حيث درس على أعلام القرويين[2].

لقد شهدت غرناطة ميلاد عديد العلماء و الجغرافيين أمثال ابن سعيد و الوزان.

لقد نبغ الوزان في عدة علوم في الجغرافية و التاريخ و اللغة العربية و قام برحلات كثيرة إلى الشام و مصر و بلاد فارس و سنة 923هـ أدى فريضة الحج و التقى بكبار المفكرين في العلوم الشرعية و العربية[3].

و مكث في رحلته إلى البلاد الليبية و التونسية سنتين إذ نجده في عام 926هـ/1520م يبحر من تونس ليعود إلى المغرب لكن سوء الحظ اوقعه في أيدي القراصنة الايطاليين فأسروه بالقرب من جزيرة جربة و أخذوه إلى نابولي ثم قدموه هدية إلى البابا ليون العاشر في روما[4].

[1]ابن الشماع، مصدر سابق، ص10

[2]ليون الافريقي، مصدر سابق، ج1، ص18_20

[3]علي عبد الله الرفاع، مرجع سابق، ص242

[4]ليون الافريقي، مصدر سابق، ج1، ص23

و لما عرف البابا علمه و معرفته باللغات العربية و الاسبانية كلفه بتدريس العربية في المدارس الايطالية و التفرغ لدراسة العلوم و البحث في علم الجغرافية و جعله البابا يعتنق المسيحية و أطلق عليه الاسم الذي عرف به في أوروبا ليون الافريقي نسبة لاسمه[1].

و بعد أن قضى الوزان ثلاثين سنة أسيرا في ايطاليا تمكن من الهرب متجها إلى تونس و أنكر النصرانية و توفي مسلما بتونس سنة 1554م.

من مؤلفاته:

وصف افريقيا مكتوب بالغتين العربية و الايطالية وضمنه مادة قيمة في ميدان علم الجغرافيا اعتمد عليها علماء أوروبا في بحوثهم حول افريقيا و ترجم الكتاب إلى عدة لغات منها اللاتينية و الانجليزية[2].

و تحدث فيه أيضا عن الملامح الاسلامية في المدن و القرى التي زارها و اعتزازه بالتعرف على الفقهاء و القضاة و المفتيين المسلمين الذين التقى بهم قبل أن يتعرض للأسر[3].

و في عام 1515م وضع معجم عربي عبري لاتيني. و في 1527م وضع بالإيطالية كتابه في سير ثلاثين من مشاهير العلماء و الفلاسفة المسلمين و من كتبه أيضا: أشعار في الأضرحة و كتاب في الفقه المالكي. و يعتبر ليون الافريقي المصدر الرئيسي لأوروبا عن العالم الاسلامي حتى عصر النهضة[4].

---

[1]أنور محمود زناتي، مصادر تاريخ المغرب، مرجع سابق، ص134

[2]علي عبد الله الرفاع، مرجع سابق، ص134

[3]ليون الافريقي، مصدر سابق، ج1، ص24

[4]أنور محمود زناتي، مصادر تاريخ المغرب، مرجع سابق، ص134

و يجمع المؤرخون أن كتابه الذي تحدث فيه عن الأطباء و الفلاسفة في الاسلام هو أول كتاب يصل إلى أوروبا يبرز تطور العلوم عند العرب و المسلمين[1].

و هذا ما يفسر استفادة الأوروبيين من الحضارة العربية الاسلامية من كل النواحي المعرفية و يتجلى ذلك في عصر النهضة.

5/ الفلسفة:

لم يلقى علم الفلسفة إقبالا لدى اهل المغرب، و لم يكن يدرس ضمن الحلقات العامة في المدارس و المساجد، كما أنه من يهتم بدراسة هذا العلم يسلط عليه الاضطهاد و يتهم بالكفر.

كما أن الواقع يشير إلى أن وضع الفلسفة كان أضعف شأنا لدى الفلاسفة السنين بالمشرق حيث لم يشتهر بها إلا الكندي و أبي نصر الفارابي و ابن مسكويه، فلم تكن للفلسفة مكانة كبيرة و تاريخها قصير، و نطاقها ضيق، فهي لم تجد طريقها إلى بلاد المغرب، و لعل ذلك يرجع إلى أن أتباع مذهب مالك و السنة عموما كانوا لا يرغبون في ان تسود الفلسفة أو يفتح الباب امام أصحابها[2].

يبدو من خلال كلام المقري و ابن خلدون في مقدمته أنه لم يكن ببلاد المغرب يؤمئذ تحقق تام و تكمن من ناصية فنون الفلسفة و العلوم العقلية، بحيث أننا لا نكاد نجد من آثارها و رسومها في هذا العصر إلا قليلا عند أمثال القاضي محمد بن ابراهيم الأصولي، و كان أهلها مع قلتهم مضطهدين من قبل علماء النقل الجامدين المتزمتين[3].

و تجدر الاشارة إلى أنه شهدت الفلسفة خلال القرن الثالث عشر ميلادي انحطاط في كامل أنحاء العالم الاسلامي، ففي مستهل العصر الحفصي كاد المجهود الرائع المبذول منذ

[1]علي بن عبد الله الرفاع، مرجع سابق، ص244

[2]بشير رمضان التليسي، مرجع سابق، ص464

[3]عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ج1، ص470

أكثر من أربعمائة سنة في العالم الاسلامي لاستيعاب و مواصلة التفكير القدير في تلك الميادين يصل إلى نهايته و في نفس الوقت تواصلت بصورة حثيثة الجهود المبذولة عن طريق إسبانيا و إيطاليا، في سبيل نقل تلك الذخيرة الفكرية إلى أوروبا المسيحية[1].

إضافة إلى أنه لم يذكر الغبريني عن كتب الفلسفة و المعقول شيئا سوى علم المنطق فإنه ذكر بأنه كان يدرس عندهم على طريقة الفارابي، و ابن سينا و غيرهم من الأقدمين و طريقة الفخر الرازي من المحدثين و المتوسطين و ذكر من كتب المعقول المتداولة بينهم كتاب النجاة و الاشارات و التنبيهات و كلها لابن سينا[2].

و في الأخير يمكن أن نخلص إلى أن الفلسفة لم تجد لها في بلاد المغرب من يهيئ لها عقول الناس لتقبلها و ذلك لمعارضة أهل السنة لها رغم حاجة الشيعة لانتشارها خدمة لمذهبهم و سياستهم[3].

[1] روبارير نشفيك، مرجع سابق، ج2، ص383

[2] عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سابق، ج1، ص470

[3] بشير رمضان التليسي، مرجع سابق، ص467

خاتمة

خاتمة:

من خلال دراستنا للحركة العلمية في الدولة الحفصية بداية من القرن السابع إلى غاية القرن العاشر هجري نلخص إلى القول:

- ✓ أن الدولة الحفصية خرجت من رحم الدولة الموحدية و سارت على نهجها في عدة مجالات و مما ساعد على استمرار الدولة في البقاء لمدة ثلاثة قرون هو اتباعها لسياسة المواجهة مع جيرانها و اعتمادها على نظام اقتصادي قائم على فرض الضرائب و انتعاش مدنها بالصناعات اليدوية إضافة إلى ذلك اهتمامهم بالمنشآت العمرانية.

- ✓ و يمكن اعتبار جامع القيروان من أبرز المعالم الحضارية و الدينية في تونس حيث حظي بعناية خاصة في العهد الحفصي فقد كان منارة للعلم و طلابه و كانت العلوم التي تدرس فيه متأثرة بالعلوم المشرقية في بغداد و الكوفة.

- ✓ إضافة إلى ذلك وجدت بعض الجوامع الأخرى مثل جامع القصبة و جامع الهواء و لكنهما لم ينالا نصيبا وافرا من العناية، و لا يمكن أن نغفل الحديث عن جامع الزيتونة الذي صار في القرن الثالث عشر ميلادي بمثابة جامعة يماثل جامع القرويين بفاس اللذان شدت إليهم الرحال في تلك الفترة و كانت الزيتونة توفر المبيت للطلبة و يدرس فيها علم الحديث و الفقه و العربية و التاريخ.

- ✓ كذلك شكلت الزاوية مقر للعبادة و التعليم و كانت على نوعين أبنية للتعليم و مبيت الطلبة و أخرى مبنية على ضر يح تابعة لولي و لعل أشهرها هي الزاوية الشاذلية نسبة لمؤسسها أبو الحسن الشاذلي ووفدت عدة طرق من المغربين الأوسط و الأقصى منها التيجانية و العروسية.

خاتمة:

- ✓ و لعبت الربط دور هام في الحياة الاجتماعية و الدينية و الثقافية و أهم الأربطة هي رباط سوسة و رباط المنستير الذي شهد نهضة علمية واسعة النطاق فكان مقصدا لرجال الدين و العلم فيذهب إليه الفقهاء و الزهاد و من الذين أقاموا فيه أبا عبد الله محمد بن ابراهيم بن عثمان الزناتي الحنفي ت655هـ.

- ✓ و كنتيجة للرخاء الاقتصادي الذي عرفته الدولة فقد اهتم سلاطينها بإنشاء المدارس التي عنيت بتدريس المذهب المالكي، و الملاحظ أن المهاجرين الأندلسيين تقيدوا بمناصب التدريس في الابتدائي و العالي مما أدى إلى تغيير مناهج التعليم.

- ✓ و أول المدارس نشأة هي الشماعية سنة 1237 بنيت على يد أبو زكريا يحي و سميت بذلك لقربها من سوق الشماعين، و تلتها بعد ذلك المدرسة التوفيقية التي بنيت سنة 1252م و من الذين تولوا التدريس بها الأندلسي الشهير ابن سيد الناس و الإمام ابن عرفة، و بنيت المدرسة المعرضية سنة 1284م عرفت باسم آخر هو مدرسة الكتبيين.

- ✓ و قام الوزير ابن تافرجين ببناء مدرسة خاصة سنة 1364م و دفن بها بعد موته، أما المدرسة المنتصرية فقد تم بناؤها سنة 1438م و حملت اسم مؤسسها محمد المنتصر بالله، و بطبيعة الحال فإن كثرت المدارس جعلت من المجتمع الحفصي مجتمعا متعلما و مثقفا.

- ✓ و كانت المؤسسات العلمية تزخر بالمكتبات و الخزائن نذكر منها مكتبة القصبة التي أسست في عهد أبو زكريا يحي سنة 627هـ/1229م و حوت عديد المؤلفات منها ما يرجع إلى العهدين الأغلبي و الصنهاجي، أما المكتبة العبدلية فقد أسسها السلطان أبو عبد الله محمد بن الحسن سنة 905هـ/1499م و بذلك كانت المكتبات الذاكرة الحافظة للعلوم الدينية و اللغوية.

خاتمة:

- ✓ كما شكلت تونس مركزا ثقافيا هاما لكونها عاصمة الدولة و لأنها شهدت هجرة الأندلسيين إليها حيث انتشرت فيها المناظرات العلمية بين الأفارقة و المهاجرين أمثال ابن الآبار و أحمد الغساني.
- ✓ و اعتبرت بجاية العاصمة الثانية للدولة و عرفت هي الأخرى هجرة أندلسية واسعة في القرن السابع الهجري و تمكن الأندلسيون فيها من تقلد الوظائف العليا و كان تأثيرهم واضحا لأنهم متنوعي الاختصاصات و مشتهرين بالتأليف في شتى العلوم.
- ✓ أما من ناحية العلوم النقلية التي درست في ذلك العهد فقد برزت مجموعة القراء في تونس نذكر منهم أبو القاسم اللبيدي و كذلك الأندلسي أبو العباس أحمد بن محمد الصدفي الشاطبي ت 674هـ/1275م.
- ✓ و في التفسير ظهر في أوائل الدولة عبد العزيز بن محمد القرشي المعروف ابن بزيزة ت 1263م.
- ✓ و احتل الصدارة في علم الحديث الأندلسيين مثل أبو بكر سيد الناس و ابن السراج الذي استوطن بجاية و توفي بها، و رغم التجديد في طرق التدريس إلا أن أساليب الاسناد ظلت محافظة على منهجها و الاستمرار في تدريس كتاب الموطأ و مدونة سحنون و الصحيحان.
- ✓ و تميز أبناء الحاضرة التونسية بنبوغهم في الفقه منهم ابن زيتون ت1291م الذي درس في المشرق و أفاد إخوانه بعلمه و من الذين درسوا على يده ابن خلدون و ابن عرفة، و من قسنطينة برز فقيه آخر هو حسن بن علي القسنطيني ت1349م و من مؤلفاته المسائل المسطرة في النوازل الفقهية.

خاتمة:

- ✓ و عرف عن الأمراء ولعهم بالأدب و فنونه فشجعوا الادباء و الشعراء فجادت قراءحهم بالمؤلفات من ذلك ما كتبه أبو اسحاق ابراهيم الحصري ت1421م في مؤلفة زهر الآداب و ثمر الألباب، و في النحو أبدع أبو الحسن حازم القرطاجني صاحب المقصورة و الميمية النحوية، و ابن عصفور صاحب مؤلف المغرب و الممتع في الاشتقاق إلا أن نهاية هذا الأخير كانت مؤسفة.

- ✓ لم تعرف تونس علم الرياضيات إلا مع بداية القرن الرابع عشر عن طريق المهاجرين الأندلسيين و كان علماء هذا العلم قليلون مقارنة مع غيرهم حيث نجد أبو الحسن علي بن محمد القلصادي القرشي ت1486م أهم رياضي أقام بتونس و من مؤلفاته كشف الجلباب من علم الحساب، و ساهم في إعطاء لمحة عن المعارف الرياضية.

- ✓ و تشكلت الجالية الأندلسية من نخبة من الأطباء الذين عملوا في البلاط فقد استوطن أبو العباس أحمد بن خالد المالقي ت1261م بجاية و عمل بها و لعل أهم شخصية تصدرت الطب في تونس هو ابن أندراس ت1373م و الذي امتاز بمعارفه الطبية و الرياضية.

- ✓ عمل أمراء الدولة منذ البداية على تقريب المؤرخين و تسجيل الأحداث المهمة فاعتمدوا على الأندلسيين أمثال ابن الآبار ت1260م صاحب مؤلف الحلة السيراء، و في القرن الثامن هجري أنجبت تونس العديد من العباقرة الذين تولوا مهمة التأريخ أمثال ابن خلدون المعروف بالمقدمة.

- ✓ و يعتبر ابن قنفذ موسوعة معرفية لتفوقه في عدة علوم كالتاريخ و الفقه و الآداب و من أشهر مؤلفاته الفارسية.

خاتمة:

- ✓ لطالما كانت الرحلات باعثا على العلم فكان الطلبة يتجهون إلى بلاد المشرق للاستزادة من المعارف و من أهم الرحالة الذين عاشوا في هذه الفترة العبدري و ابن جابر الوادي أشي الذي زار المشرق و الأندلس.
- ✓ ارتبطت الجغرافيا بالرحلة من أجل الحج و أبرز من تقلد علم الجغرافيا ابن سعيد الغرناطي ت1286م الذي عرف برحلاته الكثيرة منها إقامته بتونس في عهد المستنصر و مما ألفه النفحة المسكية في الرحلة المكية.
- ✓ و أبدع في هذا المجال ليون الافريقي ت1554م و نبع في عدة علوم مما جعل الباباليون العاشر يبقيه أسيرا في روما للاستفادة منه و أهم مؤلفاته وصف افريقيا و يعتبر هذا المؤلف مصدر الابد منه لأوروبا عن العالم الاسلامي.

قائمة

الملاحق

الملحق رقم: (1)-خريطة المغرب العربي بعد الموحدين.

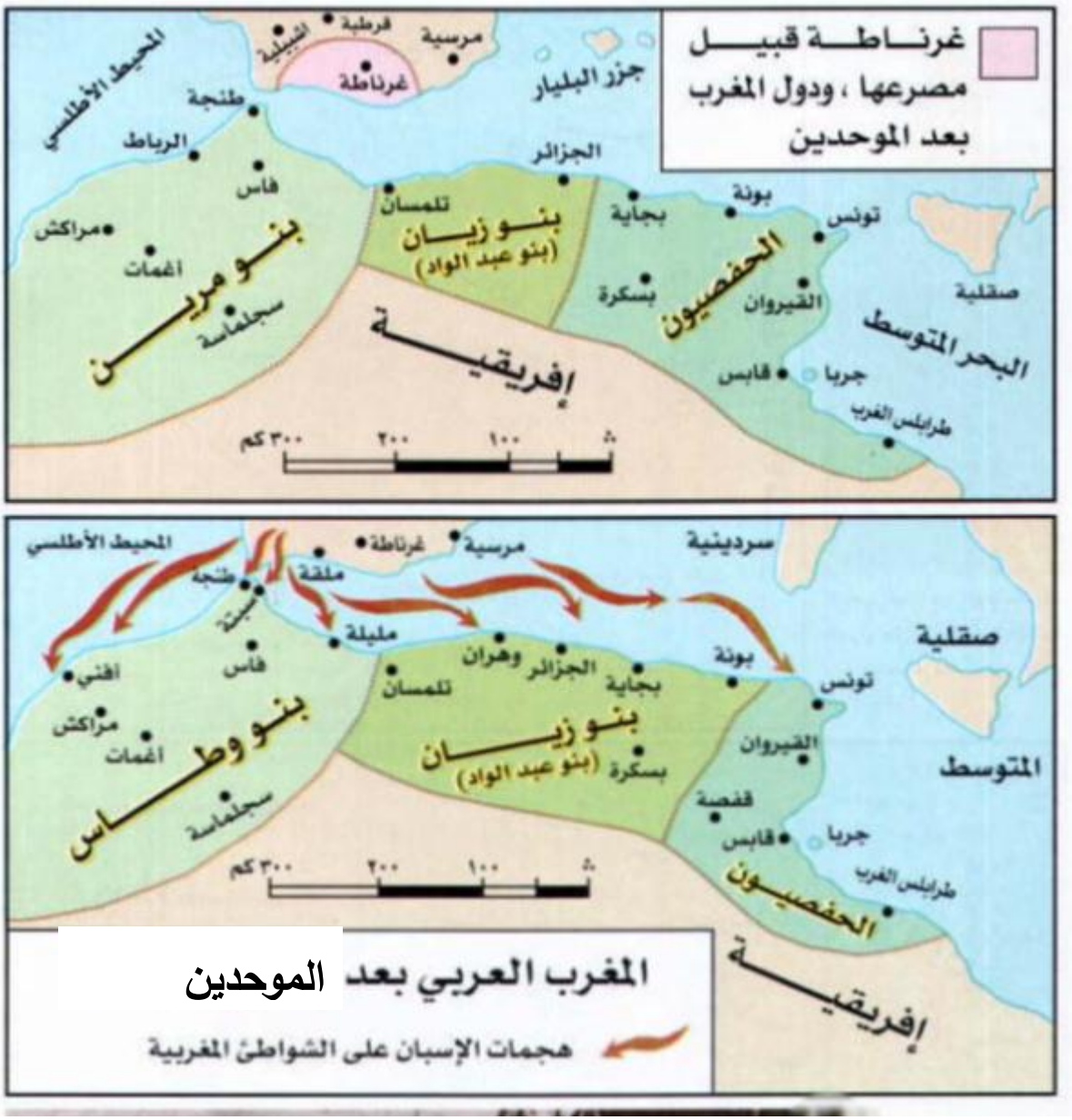

المصدر: شوقي ابوخليل، اطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط5، 2002، ص84.

الملحق رقم: (2)-جامع الزيتونة-تونس-

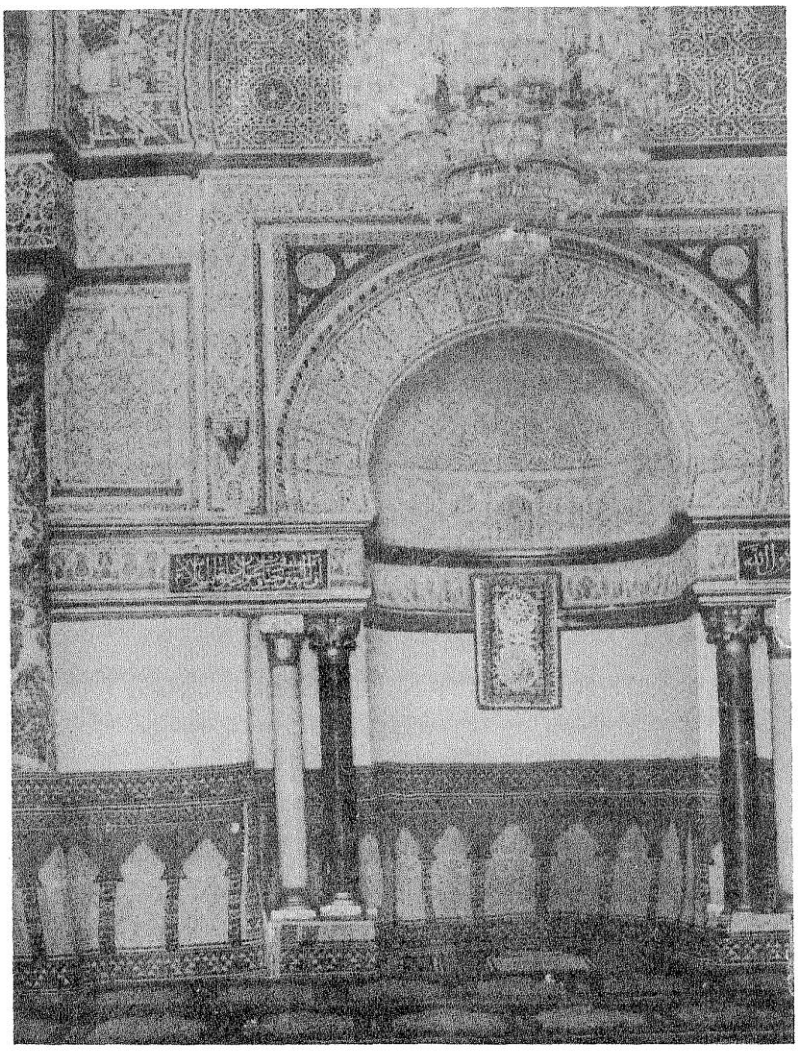

محراب جامع الزيتونة

291

المصدر: محمد بن الخوجة، مصدر سابق، 291.

الملحق رقم: (3)-مسجد القصبة –تونس

المصدر: محمد لعروسي المطوي، مرجع سابق، ص127.

الملحق رقم: (4)-المدرسة الشماعية-تونس

المصدر: محمد لعروسي المطوي، مرجع سابق، ص560.

الملحق رقم (5): –المدرسة المنتصرية.–تونس.

المصدر: محمد لعروسي المطوي، مرجع سابق، ص585.

قائمة

المراجع

قائمة المصادر:

- القران الكريم

1-بن أبي دينار، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1، كطبعة الدولة التونسية، 1286هـ.

2-ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تقديم: أبي الفداء عبد الله القاضي، ج3، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1987م.

3-ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ق3، د ط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م.

4-ابن الشماع، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تقديم: طاهر بن المعموري، د ط، دار العربية، د مك ن، 1984م.

5-أبو عبد الله العبدري، الرحلة، علي إبراهيم كروي، ط2، سعد الدين، دمشق، 2005م.

6-ابن قنفد، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، محمد الشاذلي، د ط، الدار التونسية، د مك ن، 1968م.

7-ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، محمد زينهم، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1482هـ.

8-الأسيدي الدباغ، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، تقديم: ناجي التنوخي، ج1، ج3، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1968م.

9-الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، محمد زينهم، ط1، دار الفرجاني، د مك ن، 1994م.

10- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985م.

11- ابن عذاري المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، د ط، بريل، لندن، 1881م.

12- العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تقديم: حمزة أحمد عباس، ج4، د ط، أبو ظبي، الامارات، 2002م.

13- عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، ج7، د ط، دار الفكر، بيروت، 2000م.

14- عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، د ط، د د ن، د س ن.

15- ليون الافريقي، وصف افريقيا، ج1، ترجمة: محمد حجي، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1983م.

16- مارمول كربخال، افريقيا، ج3، ترجمة: محمد حجي محمد زبير، د ط، دار المعرفة، الرباط، 1989م.

17- محمد ابن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس، ترجمة: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

18- المالكي، رياض النفوس، تق: بشير البكوش، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1414هـ/ 1994م.

19- المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، د ط، د مك ن، د س نز

20- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، د ط، دار صادر، بيروت، د س ن.

قائمة المراجع:

1-أحمد عبد الرزاق أحمد، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى (العلوم العقلية)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1411هـ/ 1991م.

2-برشفيك روبار، تاريخ افريقية في العهد الحفصي، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج1، ج2، ط1، 1988م.

3-البعزاتي بناصر، العلم والفكر العلمي في العصر الوسيط بالغرب الإسلامي، كلية الآداب والعلوم، الرباط، ط1، 2001م.

4-البارودي رضوان، دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، د مك ن، د ط، 2007م.

5-بونار رابح، المغرب العربي، تاريخه وثقافته، دار الهدى، وزارة الثقافة الجزائر، د ط، د س ن.

6-التليسي بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب خلال القرن 4هـ/ 10م، دار المدار الإسلامي، لبنان، ط1، 2003م.

7-الجمل شوقي، المغرب الكبير من الفتح الى الوقت الحاظر، المكتب المصري، القاهرة، 2007م.

8-الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج1، ج2، ط2، 1965م.

9-الحريري محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم، الكويت، ط2، 1408هـ/ 1987م.

10- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، دار الجيل، بيروت، ج4، ط14، 1416هـ/ 1996م.

11- حلاق حسان، مدن وشعوب إسلامية، دار الراتب الجامعية، سوفنير، د مك ن، ج2، د ط، د س ن.

12- حمام محمد، الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1995م.

13- دحروج الهام حسن، قابس من الهلاليين الى الحفصيين، جامعة القاهرة، د ط، 2000م.

14- أبو دياك صالح، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000م.

15- دنون طه عبد الواحد، تاريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

16- راشد أحمد إسماعيل، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ/ 2004م.

17- رزوق محمد، دراسات في تاريخ المغرب، الدار البيضاء، د مك ن، د ط، د س ن.

18- الرفاع علي بن عبد الله، رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة التوبة، د مك ن، ط2، 1993م.

19- بن رمضان شاوش محمد، باقة السوسان في التعريف بحاصرة تلمسان عاصمة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1995م.

20- زكي محمد الحسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، د مك ن، د ط، 1401هـ/ 1981م.

21- زيتون محمد، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، ط1، 1988م.

22- سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، 2003م.

23- سعيدوني نصر الدين، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الايري والوجود الأندلسي بالجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م.

24- سويسي محمد، أنماط العمران البشري بافريقية وجزيرة المغرب حتى العهد الحفصي، المركز الجامعي تونس، د ط، 2001م.

25- السيد محمود، تاريخ دول المغرب العربي ليبيا، تونس، الجزائر، مؤسسة شباب الجامعة، د ط، 2004م.

26- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير2، العصر الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

27- السيد عبد العزيز سالم، بحوث مشرقية ومغربية في التاريخ والحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، د مك ن، ج1، 1997م.

28- شترة خير الدين، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956م، دار البصائر، د مك ن، ج1، ط خ، 2009م.

29- الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال، دار سراس، ط3، 1993م.

30- شقرون محمد بن أحمد، مظاهر الثقافة المغربية، د د ن، د مك ن، د ط، د س ن.

31- ضيف شوقي، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات، دار المعارف، القاهرة، ج9، د ط، د س ن.

32- طالبي محمد، دائرة المعارف التونسية في تاريخ افريقية، بيت الحكمة قرطاج، عدد خاص، تونس، 1994م.

33- الطمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية، الجزائر، د ط، 1983.

34- الطويلي أحمد، دراسات في الحضارة العربية التونسية في العهد الحفصي والحسيني، دائرة المعارف، سوسة، تونس، د ط، د س ن.

35- العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، د ط، 2001م.

36- عبد العزيز محمد عادل، التربية الإسلامية في المغرب وتأثيرها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د مك ن، د ط، 1987م.

37- عبد اللاوي موسى، الحضارة الإسلامية وأثارها على المدينة الغربية، دار العلوم، عنابة، د ط، 2008م.

38- العجيلي التليلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي، كلية الآداب منوبة تونس، ج2، د ط، 1992م.

39- العزاوي عبد الرحمن حسين، المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الخليج، الأردن، ط1، 2014م.

40- عمارة علاوة، مغرب أوسطيات، دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الوسيط، مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2013م.

41- عمارة علاوة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2008م.

42- غربي كمال، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، وزارة الشؤون الدينية، د مك ن، د ط، 2012م.

43- غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ط1، 1426هـ/ 2005م.

44- فيلالي عبد العزيز، مدينة ميلة في العصر الوسيط، دار البلاد، قسنطينة، د ط، د س ن.

45- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1500م، دار الغرب الإسلامي، د مك ن، ج1، د ط، د س ن.

46- الكحلاوي محمد محمد، عرفاء البناء في المغرب والأندلس، مطبوعات مكتبة عبد العزيز العامة، د مك ن، د ط، 1996م.

47- كرو محمد أبو القاسم، عصر القيروان، دار طلاس، د مك ن، ط2، 1989م.

48- أبو مصطفى كمال، جوانب حضارية من نوازل الونشريسي، شباب الجامعة، الإسكندرية، د ط، 1997م.

49- أبو مصطفى كمال السيد، دراسات مغربية وأندلسية في التاريخ والحضارة، مركز الإسكندرية للكتاب، د مك ن، د ط، 2007م.

50- ممدوح حسين، شاكر مصطفى، الحروب الصليبية في شمال افريقية وأثرها الحضاري، دار عمار، عمان، الأردن، ط1، 1419هـ/1998م.

51- الانصاري محمد جابر، التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق، بيروت، لبنان، ط2، 1992م.

52- نواب عواطف محمد يوسف، رحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، د ط، 1996م.

53- هادفي حميدي بن عمر، مساهمة رياضي الأندلس في الحياة العلمية بإفريقية خلال العصور الوسطى، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط1، 1996م.

54- الوافي إبراهيم أحمد، التفسير وعلوم القران بالغرب الإسلامي من القرن 2هـ/ 8هـ، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، 1417هـ/ 1996م.

55- مؤلف مجهول، المتحف الوطني للآثار القديمة من ايكوسيوم الى الجزائر، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، د ط، 2007م.

قائمة المذكرات:

1-بحري السعيد، الشعر في الدولة الحفصية، شهادة ماجستير في الأدب العربي القديم، جامعة منتوري قسنطينة 2006/ 2007.

2-بوعامر مريم، الهجرة الأندلسية للمغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري ما بين 7هـ/ 9هـ، مذكرة ماجستير، شعبة تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2009م/ 2010م.

3-سعودي يمينة، الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية، شهادة ماجستير في الأدب الجزائري القديم، جامعة الأخوة منثوري، قسنطينة، 2005م/ 2006م.

4-المسعودي جميلة مبطي، المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621هـ/ 893هـ، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، سنة 1421هـ/ 2000م.

5-معلاش مريم، الحياة العلمية ببجاية في ظل الدولة الحفصية خلال القرن السابع هجري، مذكرة ماستر، حضارة عربية إسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010/ 2011م.

6-النجار عبد المجيد، المهدي بن تومرت، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1403هـ/ 1983م.

قائمة المجلات والدوريات:

1-بن مامي محمد ناجي، مدارس تونس من العهد الحفصي الى العهد الحسيني القرن 7هـ/ 13م، مجلة المؤرخ العربي، العدد 34.

2-طويلب عبد الله، العلاقات السياسية بين الدولتين الزيانية والحفصية، دورية كان، العدد 18، ديسمبر 2012م.

3-فيلالي عبد العزيز، أبرز علماء قسنطينة خلال العهد الحفصي القرن 7هـ/ 10هـ، مجلة جامعة قسنطينة، دار نوميديا، 1990م.

4-القابسي نجاح، المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، مجلة المؤرخ العربي، العدد 19.

5-قويسم محمد، ابن قنفذ القسنطيني، ومنهجه في كتابة التاريخ، حولية قالمة، العدد 7، 2013م.

قائمة الموسوعات:

1-حجي محمد، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ط1، 1996م.

2-زبيب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الأمير، ج2، ط1، 1415هـ/ 1995م.

3-زبيب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الأمير، ج4، ط1، 1415هـ/ 1995م.

4-الغنيمي عبد الفتاح مقلد، موسوعة تاريخ المغرب العربي، مكتبة مدبولي، ج5، ط1، 1414هـ/ 1994م.

5-مصطفى شاكر، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، دار العلم للملايين، لبنان، ج2، ط1، 1993م.

قائمة المعاجم:

1-الخطيب مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات التاريخية والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1416هـ/ 1996م.

2-زناتي أنور محمود، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة عين شمس، المملكة الأردنية، ط1، 2011م.

3-السيد فؤاد صالح، معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ، دار العلم للملايين، لبنان، ط1، 1990م.

4-نبهان يحي محمد، معجم مصطلحات التاريخ، دار يافا، الأردن، ط1، 2008م.